

مقومات تعزيز الأمن الفكري العربي

دراسة من إعداد

مؤسسة الباحث

للاستشارات البحثية بالقاهرة

مجموعة من الأكاديميين في مجال العلوم الإنسانية

إشراف / د. السعيد مبروك ابراهيم

2019

المقدمة

يموج عالم القرية الواحدة بالأفكار والمعتقدات، ويخوض الناس في غمار ما تمخضت عنه عقولهم، ما بين مهتد وضال، وينجرف البعض إلى الهاوية، حيث الانحراف الفكري الناتج عن ثقافة مغلوطة رسخت في الأذهان، ونتج عنها سلوك منحرف، ظن صاحبه أنه على الحق المُبين بينما هو يموج في ظلمات الجهل والتشدد.

ولا يخفى على ذي عقل أننا اليوم نعيش في عالم تتدفق فيه المعلومات والمعارف والأفكار، بشكل لم يشهده تاريخ البشرية من قبل، عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، وتقنيات المعلوماتية التي جعلت العالم رغم اتساع مساحته، يتقلص إلى ما يشبه القرية الصغيرة، وصارت الفكرة، والكلمة، والمقولة، و المقالة، والصورة تصل إلى من يراد له النفع أو الضر، أو يرجى له الخير أو الشر في أقل من أن يقوم المرء من مقامه، وبات التهديد يطال الشعوب كلها؛ أفراداً وجماعات، ويقتحم حتى الهيئات السيادية في بعض البلدان؛ كالمؤسسات التعليمية والتربوية، تارة بالتوجيه، وأخرى بالتسيير تحت مخدر التعاون العلمي، والتبادل الثقافي، والتقارب السياسي، وما إلى ذلك من شعارات القوم الموهمة والمضللة التي أفرزها نظام العولمة المفروض قهراً من القوى العالمية الكبري على المستضعفين من الأمم والشعوب، الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

إن الأمن الفكري كما يدل عليه لفظه ويرمي إليه معناه هو تحصين للأفكار، وتأمين لها من الهجمات الدخيلة، والحملات المسعورة، التي تسمم العقول وتفسد السلوك، وتسيء إلى الدين، وتقضي على الأصالة وتشكك في الولاء وصدق الانتماء.

وترجع حالة الانقسام والانشطار في العالم العربي والإسلامي اليوم إلى تشتت المرجعية الثقافية، وانعدام الوحدة بين التيارات الفكرية العربية أدي إلي حالة انقسام في العقل العربي، فأصبحنا لا نملك عقلاً عربياً واحداً بل عقولاً تختلف باختلاف الأنساق الفكرية والمرجعيات الفكرية التي يحتكم إليها هذا العقل، فالسلفي يفكر داخل الحقل للمعرفي الأيدلوجي العربي الإسلامي القديم، والليبرالي العربي، وكذا الماركسي العربي يفكر داخل الحقل المعرفي الأيديولوجي الأوربي، وهذا الانقسام الحادث في عقل الأمة هو الذي يحرم الأمة من الاجتماع علي مرجعية واحدة للنهضة الحضارية، وأخطر ما في هذا الانقسام أنه ليس مجرد تعددية مشروعة في الفروع، بل اختلاف في الأنساق الفكرية والموجهات والمرجعيات.

وفي ظل حاجة الأمة اليوم إلى ما يؤمن فكرها، ويحرس قيمها، ويعلى دينها، أكبر من أي حاجة ترى فيها تثبيتاً لوجودها، وإعزازاً لموقعها، وتحسيناً لأداء مهامها، والقيام بواجباتها، وعليها أن تدرك كما أدرك غيرها أن من أنواع الأمن الذي صار موضع اهتمام وعناية عند كل من يريد الرفعة بين الأمم، الأمن الفكري الذي يرمز من حيث الدلالة اللغوية إلى السلامة والاطمئنان وانتفاء الخوف على دين الناس وعقولهم.

ومن هنا يأتي هذا الكتاب، كمحاولة لوضع رؤية متواضعة لتعزيز الأمن الفكري العربي، ويتضمن الكتاب خمسة فصول، تناول الفصل الأول: مفهوم وآليات تحقيق الأمن الفكري، وتناول الفصل الثاني: مجموعة من المصطلحات ذات الصلة بالأمن الفكري، كالوسطية والاعتدال والاستقامة، وتناول الفصل الثالث: الانحراف الفكري، مفهومه وأسبابه، وتناول الفصل الرابع: أمن المعلومات في البيئة الرقمية، وتناول الفصل الخامس ثقافة الشباب في ظل العولمة والانفتاح العالمي، وتناول الفصل السادس والأخير تجديد الخطاب الديني، مفهومه وآلياته ودواعيه.

الفصل الأول

الأمن الفكري: آليات ومفاهيم

مفهوم الأمن الفكري

تستقيم الحياة، ويسعد الانسان بها إذا كان آمنًا على نفسه، هادئ النفس؛ لا يخاف من وقوع مكروه يهدد أمنه، أو ينتقص دينه، أو ينتهك حرماته، أو يستلب خيراته، أو يفرض عليه ما يتعارض مع دينه وثقافته من أفكار ومذاهب، فهناك أمورًا عديدةً يجب أن يخلو منها ما ينتجه العقل الإنساني من علوم ومعارف، ليكون فكرًا آمنًا سالماً من الانحراف.

وتُشير معاجم اللغة العربية إلى أن مصطلح "الأمن" بمفهومه العام يعني طمأنينة النفس وزوال الخوف، وأنه يمثل حالة التحرر من الخوف والقلق والخطر، فهو نقيض الخوف، يقول تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ) (النساء: 83).

أما المختصين في العلوم الإنسانية عامة فلهم تعريفات متعددة للأمن، حيث يرى بعضهم أنه الاطمئنان وعدم الخوف والإحساس بالثقة إزاء إشباع احتياجات الفرد الأساسية، وهو دافع أساسي من دوافع الكائن الحي عموماً والإنسان خصوصاً، بينما يرى آخرون أنه الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب.

ولعل التعريف الأقرب للأمن إنه " الشعور بالسلامة والاطمئنان، واختفاء أسباب الخوف على حياة الإنسان، وما تقوم به هذه الحياة من مصالح يسعى إلى تحقيقها ويستهدفها بطموحاته، ومن أسباب أو وسائل يسلكها لتحقيق تلك المصالح، وهذا هو الأمن بمعناه الشامل، بما في ذلك أمن الفرد، وأمن المجتمع.

والأمن في معناه العام لا يختلف من حيث أنه شعور بالاطمئنان ينبعث داخل النفس الإنسانية، ولكنه يختلف من حيث أسبابه وبواعثه ومقتضياته، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عقدية أو فكرية أو بيئية...وغيرها، مما يوجد في المقابل أنواعاً وصوراً متعددة من الأمن تبعاً لذلك، منها الأمن الاجتماعي، والأمن النفسي، والأمن السياسي، والأمن البيئي، والأمن الاقتصادي، والأمن الفكري، وغيرها من التصنيفات التي تؤكد تشعب دلالات مفهوم الأمن ومضامينه، وإن كانت في مجملها تشير إلى توفر الاطمئنان للدولة والفرد والمجتمع على حد سواء.

ونظراً للحداثة النسبية لمصطلح "الأمن الفكري" فقد تباينت الرؤى حول المقصود به؛ إذ ينظر بعض الباحثين إليه باعتباره أساليب وإجراءات أمنية، في حين يرى بعضهم أن المقصود به لا يتعدى الأمن العقدي

فحسب، بينما ينظر إليه آخرون باعتباره حالة نفسية ناتجة من اتخاذ جملة من التدابير والإجراءات التي يمكن من خلالها تحقيق الأمن الفكري والمحافظة عليه، ويرى آخرون أنه مفهوم متغير من زمن إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، خصوصاً أن اختلال الأمن الفكري ما هو إلا نتيجة حتمية للانحراف الفكري الذي يعد أيضا متغيرا من حيث مفهومه ومعاييره، فما يعد انحرافاً فكرياً عند مجتمع من المجتمعات قد لا يكون كذلك لدى مجتمع آخر.

ومن المحاولات الجادة لتعريف الأمن الفكري ما ذكره الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الذي يعرف الأمن الفكري بأنه: "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية"

ويرى بعض الباحثين أنه: "إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع ليس في موضع تهديد من فكر وافد..." في حين يرى آخرون أنه: "التزام واعتدال ووسطية، وشعور بالانتماء إلى ثقافة الأمة وقيمها، فضلا عن أنه يعني بحماية عقل الإنسان وفكره ورأيه في إطار الثوابت الأساسية والمقاصد المعتبرة، والحقوق المشروعة المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة حياة"

وبالتأمل في مصطلح (الأمن الفكري) من حيث مقتضياته وما يمكن أن يترتب عليه في المجتمع المسلم يلاحظ أنه يسعى إلى تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال؛ وأنه يعني بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك.

ويمكننا تعريف الأمن الفكري بأنه: "الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية" كما يمكننا تعريفه إذا نظرنا إليه باعتباره إجراءات وتدابير بأنه: "حماية المنظومة الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية للفرد والمجتمع؛ بما يحقق الاطمئنان التام إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته".

ومما تجدر الإشارة إليه أن استخدام كلمة "الفكري" في هذا المصطلح إنما يشير إلى كل ما يتصل بالفكر وينسب إليه من المعتقدات والقيم والمبادئ الأخلاقية والتصورات الذهنية التي تؤثر في نزعات الفرد وميوله واتجاهاته وتطلعاته ومواقفه حيال كثير من الأمور، وتجعله يتبنى أنماطاً سلوكية معينة في حياته وتعاملاته، وبناء عليها يتفاعل سلباً أو إيجاباً مع الأشخاص والظروف والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة على مستوى المجتمع المحلي أو الإقليمي أو الدولي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحماية المقصودة للعقل ومنه؛ لا تكون بالإغلاق أو الحجر على العقل ومنعه من العمل كما أراد الله له أن يعمل؛ ولا تعني الحجر الفكري وتقييد الحريات- مع الأخذ في الحسبان أنه لا يوجد حرية مطلقة؛ بل هناك حرية محكومة بضوابط دينية وأخلاقية واجتماعية ونظامية- وإنما باتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة ببناء العقل الإنساني بما يجعله قادرا على الفرز والتمحيص والاختيار المدرك لما يتبناه من رؤى وتصورات، وحماية ذلك البناء الفكري ليستطيع الصمود أمام مختلف المؤثرات والانحرافات الفكرية والعقدية والأخلاقية، ومن ثم حماية الدولة والمجتمع في مواجهة ما يصدر عن ذلك العقل من انحرافات متمثلة في الآراء والتوجهات التي يعبر عنها بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو بالإيحاء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وما يتبع ذلك من سلوك، وبذلك تتحقق- بإذن الله- الحماية الكاملة للمنظومة العقدية والفكرية والثقافية والأخلاقية.

أهمية الأمن الفكري

يعد الأمن بمفهومه الشامل من أهم المتطلبات الأساسية للحياة الإنسانية، ولا يمكن أن يستغني عنه الإنسان بأي حال من الأحوال، فالأمن حاجة إنسانية أولية لا يستطيع أي مجتمع أن يعيش ويمارس دوره في البناء والتنمية في غيابه، ولا يمكن أن يختلف اثنان في أهمية الأمن الذي يعبر عن شعور الإنسان بالسلامة والاطمئنان،

وغياب أسباب الخوف على حياته ومقومات بقائه ومصالحه المشروعة؛ ليشمل بذلك أمن الفرد وأمن المجتمع وأمن الوطن، حيث لا يمكن أن يتحقق أمن الفرد بمعزل عن أمن المجتمع وأمن الدولة.

والنصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ذات الصلة بالأمن تؤكد أن هناك ترابطاً وثيقاً بين مفهوم الأمن وحفظ الضرورات الخمس التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، ولذلك جعله الله من أعظم نعمه على خلقه حين امتن بها عليهم في قوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (قريش: 4) كما ألهم الله سبحانه نبيه إبراهيم عليه السلام ما لهذه النعمة من أهمية قصوى في حياة البشرية، ولذلك دعا ربه أن يبسط الأمن على مكة وأن يجنبه وبنيه عبادة الأوثان، حيث يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) (إبراهيم: 35) كما يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (البقرة: 126) وقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" (أخرجه الترمذي، حديث رقم 2346، وابن ماجه، حديث رقم 4141).

وقد تعددت النصوص التي تؤكد أهمية الأمن وتدعو إلى الأخذ بأسبابه، وتقرن وجوده بالعمل الصالح لدى المسلم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تقرن الأمن بالإيمان بالله سبحانه، حيث يقول تعالى: (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) (النحل: 112) ويقول تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام: 82) ومن ذلك يتضح أن الأيمان من أهم متطلبات تحقيق الأمن في عمومه، سواء كان متعلقا بالأمن الشخصي للإنسان، أو ما يتجاوزه إلى أبعاد أرحب لتشمل الأمن الفكري والعقدي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والوطني وغيرها من صور الأمن وتطبيقاته وصولا إلى ما يعرف في العصر الحالي بالأمن الدولي.

وفي ظل الثورة المعلوماتية الكبرى؛ ومع تطور وسائل الاتصال والمواصلات، وسهولة انتقال الثقافات وتأثر بعضها ببعض بما يؤدي إليه ذلك من غزو فكري وثقافي؛ ومع انتشار الجماعات المنحرفة فكرياً وتعددها على مستوى العالم؛ يكون لزاما على كل ذي لب أن يدرك مدى أهمية الأمن الفكري باعتباره من أهم سبل الوقاية من الانحراف الفكري، وبصورة خاصة عندما تنتج تلك الانحرافات الفكرية أفعالا مادية تمثل اعتداء على حرمات الآخرين، وعندما يحاول صاحبها فرضها على الآخرين بالقوة والترهيب،

وعندما يحكم المنحرف فكرياً على من لا يتفق معه بالكفر والخروج من الملة، وبذلك يستبيح دمه وماله، بما قد يترتب على ذلك من أخطار دينية وأمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية.

كما يمكن القول أن أهمية الأمن الفكري تنبع من تبوئه مرتبة متقدمة بين أنواع الأمن وصوره الأخرى، ومن ارتباطه الوثيق بتلك الصور، ومن علاقته الوظيفية بها، فمتى وجدت الحماية للعقل الإنساني؛ أدى ذلك إلى تحقيق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية، فمن خلاله يتم حفظ الأمن والنظام العام، وتسود الطمأنينة والاستقرار في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني.

ولا يمكن للفرد أن يتصور مدى أهمية الأمن الفكري وما يترتب على تحقيقه من إيجابيات إلا بتأمل وإدراك مدى الأضرار المترتبة على فقدانه أو اضطرابه، ولعل ما يحدث من جرائم إرهابية في كثير من دول العالم أكبر دليل على اختلال الأمن الفكري لدى من يقوم بتلك الأعمال من منطلقات فكرية منحرفة يغذيها الغلو والتطرف بأشكاله المختلفة؛ حيث أنه لا يمكن لأي فرد أو جماعة الإقدام على ارتكاب جريمة من هذا النوع دون أن يكون لديهم فكر متجذر يدفعهم للقيام بذلك، فكل جريمة في الغالب مسبوقة بفكر منحرف يوجه إرادة الجاني لارتكابها رغم إدراكه لما يترتب عليها من أضرار، ومن المسلمات لدى علماء النفس والاجتماع والتربية والقانون والشريعة أن الجريمة ترتبط بفكر الإنسان ارتباطاً مطرداً من حيث المبدأ؛ فلا يقدم عليها أو يمتنع عنها إلا بناء على هذا الارتباط.

ومن خلال الأمن الفكري يمكن تحصين الشباب في مواجهة دعاة الغلو والتطرف والعنف، خصوصاً إذا أدركنا أن نسبة كبيرة من الشباب تعاني فراغاً فكريا ملحوظا، وأن كثيرا ممن أشارت إليهم البيانات الرسمية عن المنتمين للفكر المنحرف لم يتلقوا العلم الشرعي- وهو قليل- من أهله، وإنما تلقوه من مصادر مشبوهة، ما يشير إلى استغلالهم من قبل بعض العناصر التي استطاعت الوصول إليهم فوجدتهم بمثابة الأرض الصالحة للاستزراع لعدم وجود الحصانة الفكرية اللازمة لديهم، فعملت على تلقينهم كثيرا من المبادئ والمعتقدات الخاطئة، حتى أصبحوا أدوات للقتل والتدمير.

وبتحقيق الأمن الفكري يمكن محاربة الجماعات المتطرفة التي انتشرت في معظم دول العالم، مستفيدة من جميع وسائل الاتصالات لحشد الرأي العام وتعبئته ضد أنظمة الحكم القائمة في مختلف الدول العربية والإسلامية، وذلك من أجل إضعافها والنيل من هيبتها ومكانتها وسلطاتها، وغيرها من الجماعات التي تعمل على توهين الولاء والانتماء للوطن، وتشويه الرموز الوطنية السياسية والدينية والاجتماعية، وبث الشائعات المغرضة وتضخيم الأخطاء الصغيرة التي لا يخلو منها أي مجتمع، وإضفاء صفات البطولة والجهاد والاستشهاد على القائمين بالعنف ودعاته.

ومما سبق يتضح أن للأمن الفكري أهمية قصوى، ولاسيما إذا أدركنا أن تحقيقه واستتبابه يؤديان إلى عدد من النتائج ومنها ما يلي: تحقيق الأمن العقدي، وتحقيق الأمن الثقافي والأخلاقي، وتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي، وتحقيق الأمن السياسي، وتحقيق الأمن الاقتصادي، وتحقيق الأمن الوطني بجميع مقوماته.

آثار تحقيق الأمن الفكري

إن أهمية الأمن الفكري تنبع من تبوئه مرتبة متقدمة بين أنواع الأمن الأخرى، ومن ارتباطه الوثيق بتلك الأنواع، فمتى وجدت الحماية للعقل الإنساني أدى ذلك إلى تحقق الأمن الفكري الذي بدوره يؤدي إلى استتباب الأمن في الجوانب الأخرى باعتبار ذلك نتيجة طبيعية.

ولا يتصور الفرد مدى أهمية الأمن الفكري وما يترتب على تحقيقه من إيجابيات إلا بتأمل وإدراك مدى الأضرار المترتبة على فقدانه أو اضطرابه.

وفي ظل الثورة المعلوماتية، ومع تطور وسائل الاتصال، وسهولة انتقال الثقافات وتأثر بعضها ببعض بما يؤدي ذلك من غزو فكري وثقافي، يكون لزاماً على كل ذي لب أن يدرك مدى أهمية الأمن الفكري باعتباره أهم السبل في الوقاية من الانحراف الفكري.

إن الأمن الفكري لكل أمة هو بحفظ هويتها، إذ في حياة كل أمة ثوابت تدافع من أجلها وتسعى إلى المحافظة عليها لأنه هو سر وجودها وتميزها ولأنه هو سبب استقلالها وبقائها، ولأنه هو الرابط بين أفرادها.

ومما يوضح آثار الأمن الفكري على الفرد ما يلي:

1-أن الأمن الفكري أحد مكونات الأمن بصفة عامة، بل هو أهمها وأسماها وأساس وجودها واستمرارها، والأمن هو النعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها.

2-أن الأمن الفكري يتعلق بالمحافظة على الدين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحمايتها والمحافظة عليها، ويتمثل ذلك بأمور:

- التأكيد على أهمية التفقه في الدين والحذر من الجهل الذي يقود إلى كثير من الانحرافات .

- تحريم الابتداع في الدين، حيث إنه من دواعي اضطراب الأمن الفكري وانتشار البدع.

- تحريم الفتوى والقول على الله بلا علم، مما يكون سبباً في الوقوع في الزيغ والفتنة.

3-تحريم التطرف والغلو في الدين ، والأدلة على ذلك كثيرة.

أن الأمن الفكري يتعلق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، وأداة التأمل والتفكر، الذي هو أساس استخراج المعارف، وطريق بناء الحضارات، وتحقيق الاستخلاف في الأرض، ولذلك كانت المحافظة على العقل، وحمايته من المفسدات، مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تتحقق إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية.

4-أن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف والبعد عن المنهج الحق ووسطية الإسلام ولذلك فإن الإخلال به يعرض الإنسان لأن يكون عمله هباءً منثوراً لا ثقل له في ميزان الإسلام.

5-أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الأمة وتشرذمها شيعًا وأحزابًا، وتتنافر قلوب أبنائها، ويجعل بأسهم بينهم، فتذهب ريح الأمة، ويتشتت شملها، وتختلف كلمتها·

6- أنه من أسباب تحقيق الوسطية والاستقامة، حيث إنه إذا أمن الفرد فكرياً فإنه سيسلك السبيل الوسطي.

7-أنه سيقود إلى تفاعل الفرد إيجابياً مع مجتمعه، وسينظر إلى الأمر نظرة تفاؤلية، وسيعالج الأخطاء والمخالفات وفق منهج شرعي صحيح مبني على العلم والبصيرة والبعد عن الاندفاع غير المنضبط.

أنه سيقود إلى نشأة أسرة تتأثر بوليها الذي سيربيهم على هذا المنهج الصحيح، وبالتالي يكثر الخير في المجتمع إذا انتشر الأمن الفكري بين الأسر.

أنه سيقود الفرد إلى التعاون مع الجهات ذات العلاقة بالعناية بالأمن الفكري، وسيكون سبباً في الإرشاد والتوجيه إلى المعنى الصحيح للأمن الفكري المؤصل شرعياً، والسعي إلى نشره وتعميمه والتربية عليه.

وكما سبق الحديث عن الآثار التي تتحقق بسبب العناية بالأمن الفكري على الفرد، فسيكون الحديث في هذا المطلب عن الآثار التي تعود على المجتمع من وراء تحقيق الأمن الفكري، ومنها ما يلي:

- أنه حماية لأهم المكتسبات وأعظم الضروريات، وهو دين الأمة وعقيدتها، فحماية الأمة من هذا الجانب له أهمية بالغة فهو حماية لوجودها.
- أن اختلال الأمن الفكري يؤدي إلى اختلال الأمة في الجوانب الأخرى، الجنائية والاقتصادية، وغيرها.
- أن الضرر المتوقع من الإخلال بالأمن الجنائي، أو انتهاك الأموال والأعراض في معظمه محدود بمن وقع عليه الجرم، أما الإخلال بالأمن الفكري فإنه يتعدى إلى كل شرائح المجتمع.
- أن منافذ الغزو الفكري أوسع من أن تحد، فهو يحتاج إلى حماية كل دار بل كل عقل، ولا يمكن أن تتحقق هذه الحماية إلا بتوفر الأمن الفكري، فهو الخطوة الأولى والركيزة الأساسية للحماية من أي غزو فكري .

- "إن تحقق الأمن الفكري في أي أمة من الأمم يعني يقينها واطمئنانها بأحقية عقائدها وقيمها وأخلاقها لا في البقاء فحسب، بل في التأثير في الآخرين، وفي قيادة أمم الأرض إلى القناعة بفكرها والأمة التي تحقق هذا الأمن لا شك أنها آمنة من الذوبان في غيرها ومن التبعية للآخرين، ولو كانت أفقر اقتصاداً أو أضعف قوة أو أقل تحضراً، بل حتى لو كانت مهزومة عسكرياً محتلة من عدو خارجي كما حصل للمسلمين الأوائل إبان غزو المغول والصليبيين، فقد أثر المسلمون فيهم وغيّروا من فكرهم، وانتهى الأمر بدخول المغول في الإسلام واعتناق عقائده، ووصل بالنصارى إلى حد الانبهار بالحضارة الإسلامية والتتلمذ عليها، مما على أساسه قامت حضارة الغرب الحالية".

مما سبق يتبين الأثر الكبير الذي يحققه الأمن الفكري على المجتمع، والذي يكون له دور مهم وحقيقي في استقرار المجتمع وطمأنينته، بل إن كثيراً من الشعارات التي ترفعها المنظمات الدولية في السعي إلى حقوق الإنسان وحفظ كرامته، قد سبقتها الشريعة الإسلامية في أنظمتها وتشريعاتها التي تحقق الكرامة الإنسانية وتسعى إليها وتسعى إلى كل ما يحفظ حقوقهم وأمن أفكارهم وقيادتهم إلى بر الأمان للوصول إلى رضوان الله جل وعلا.

مراحل تحقيق الأمن الفكري

يتطلب تحقيق الأمن الفكري العمل على عدد من الجبهات- إن صح التعبير- هي: الوقاية والمواجهة والعلاج، ولكل منها متطلباتها وإجراءاتها ومقومات نجاحها، آخذين في الحسبان أن تقويم الفكر وتصحيح المعتقد يشكلان المرتكز الرئيس لأي محاولة جادة لتحقيق الأمن الفكري وحمايته، وهي قضية كبيرة ومعقدة ومتشابكة مع كثير من الجوانب الدينية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ويخطئ من يعتقد أن الأمن الفكري قد يتحقق في يوم وليلة، أو أن حملة إعلامية أو أمنية قد تنجز ذلك؛ فالعمل في هذا الميدان يتطلب الاستمرارية والتصاعد على مختلف المستويات، وقد لا تظهر نتائج بعض الإجراءات التي تتخذ حالياً في هذا الاتجاه إلا بعد سنوات عدة.

وبناء على تقسيم العمل لتحقيق الأمن الفكري إلى جبهات ثلاث (الوقاية والمواجهة والعلاج) يمكن تقسيمه أيضاً إلى مراحل متعددة، تبدأ بالوقاية من الانحراف الفكري بصوره المختلفة، ثم مرحلة المناقشة والحوار لمن يشك في حمله فكراً منحرفاً، ثم مرحلة التقويم، ومرحلة المساءلة القانونية، ومرحلة العلاج الذي يتم في الإصلاحيات أو غيرها من خلال المراجعات الفكرية والعقدية التي تؤدي إلى تصحيح المفاهيم وضبطها بضوابطها الشرعية.

وهذه المراحل متداخلة ومكملة لبعضها بعضاً، ومنها ما هو عام وموجه لجميع أفراد المجتمع دون استثناء، ومنها ما هو موجه لمن تظهر عليهم مؤشرات الانحراف الفكري، وأخرى موجهة لمن يثبت اعتناقهم لأي نوع من الانحراف الفكري المهدد للمجتمع، وهكذا. وفيما يلي عرض موجز للمراحل التي يمكن من خلالها تحقيق الأمن الفكري:

المرحلة الأولى:

مرحلة الوقاية من الانحراف الفكري؛ وفي هذه المرحلة ينبغي أن تقوم الجهات المعنية باتخاذ جميع الإجراءات الممكنة لمنع حدوث الانحراف الفكري ابتداء، والعمل في هذه المرحلة عام وموجه إلى جميع أفراد المجتمع دون استثناء، وذلك يتم من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولية والثانوية وغيرها من المؤسسات، على أن يكون ذلك وفق خطط مدروسة بعناية تحدد فيها الغايات والأهداف، وتحشد لها الطاقات والإمكانات، وتحدد برامج العمل وخطواته ومراحله، وتعين الجهات المعنية بالتنفيذ، والجهات المعنية بمراقبة التنفيذ، والجهات المناط بها تقييم النتائج وتصحيح المسار إذا لزم الأمر، وذلك كله في ضوء المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمر بها البلاد،

وفي ضوء ما هو متوقع من تغيرات وظروف مستقبلية، ويمكن أن تسهم جميع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية- ومنها على سبيل المثال مؤسسات التنشئة الاجتماعية- في جهود الوقاية من الانحراف الفكري بصوره المختلفة، وهذه المرحلة ينبغي أن تتصف بالاستمرارية، ولا ترتبط بظروف أو زمان أو مكان معين.

المرحلة الثانية:

مرحلة المناقشة والحوار؛ قد لا تنجح جهود الوقاية في صد الأفكار المنحرفة من الوصول إلى بعض الأفراد، سواء كان مصدر هذه الأفكار داخلياً أو خارجياً، مما يوجد هذه الأفكار بدرجة أو بأخرى لدى بعض شرائح المجتمع، ثم لا تلبث أن تنتشر وتستقطب المزيد من الأنصار، وتتوقف درجة انتشارها على مدى يقظة المؤسسات المختلفة في المجتمع بما فيها الأجهزة الأمنية والدينية والاجتماعية، وعند بدء هذه الأفكار والرؤى والتصورات في الظهور فإن ذلك يستدعى تدخل قادة الفكر والرأي من العلماء والمفكرين والباحثين للتصدي لتلك الأفكار من خلال اللقاءات المباشرة مع معتنقيها، ومن خلال مختلف القنوات الاتصالية الممكنة، وذلك عن طريق الحوار والمناقشة والمتابعة، وتفنيد الآراء ومقارعة الحجة بالحجة، وبيان الحقيقة المدعومة بالأدلة والبراهين المقنعة.

وهذه المرحلة من أهم مراحل تحقيق الأمن الفكري ومتطلباته، خصوصا أن المعركة والمواجهة فكرية في الأصل؛ وهو ما يستدعي مواجهة الفكر بالفكر، عن طريق الحوار والنقاش المبني على أصول علمية سليمة، والقائم على بيان الأدلة والبراهين الصادقة المؤثرة لترسيخ القناعات بما هو سليم من المعتقدات والأفكار، وزعزعة جذور الانحراف الفكري في نفوس أصحابه، وبيان الأخطاء والمثالب في تلك الأفكار، وتوضيح ما قد يترتب عليها من آثار خطيرة تهدد المجتمع بأكمله، مع إشراك العدد المناسب من العلماء والمفكرين والباحثين المؤهلين للقيام بمثل هذه المهمة من أجل التضييق على الأفكار الهدامة، ورد أصحابها إلى جادة الصواب.

المرحلة الثالثة:مرحلة التقويم

والعمل في هذه المرحلة يبدأ بتقييم الفكر المنحرف وتقدير مدى خطورته باعتبار ذلك نتيجة حتمية للحوار والمناقشة، ثم ينتقل العمل إلى مستوى آخر هو تقويم هذا الفكر وتصحيحه بقدر المستطاع، وهذه المرحلة ترتبط بسابقتها وتنتج منها، حيث تقوم الجهات المعنية بالحوار والمناقشة بتحليل ما يحمله هؤلاء الأفراد من أفكار منحرفة، وتقييم مخاطرها وما قد يترتب عليها من أعمال إجرامية، فقد لا يؤدي الحوار الغرض منه،

ولا ينجح في الوصول إلى إقناع الطرف الآخر بالعدول عن انحرافه، ولذلك فإن من واجب المؤسسات المعنية العمل على تقويم هذا الانحراف بكل الوسائل والسبل المتاحة مما لا يتعارض مع القواعد الشرعية والأنظمة المرعية، فإذا نجحت الجهود كان بها، وإذا لم تنجح ينتقل العمل إلى المرحلة اللاحقة.

المرحلة الرابعة:

مرحلة المساءلة والمحاسبة؛ والعمل في هذه المرحلة موجه إلى من لم يستجب للإجراءات المتبعة في المراحل السابقة؛ إذ تنتقل المهمة في هذه المرحلة إلى مستوى مواجهة أصحاب الفكر المنحرف ومساءلتهم عما يحملونه من فكر، وهذا منوط بالأجهزة الرسمية المعنية وصولاً إلى القضاء الذي يتولى إصدار الحكم الشرعي في حق من يحمل مثل هذا الفكر لحماية المجتمع من المخاطر التي قد تترتب عليه؛ إذ لا يمكن- بعد إخفاق عمليات الوقاية ثم الحوار والمناقشة، ثم محاولة تقويم الفكر المنحرف- أن يترك الفرد المنحرف فكرياً دون مساءلة، فقد يتسبب نتيجة لانحرافه الفكري في تهديد الأمن والاستقرار، أو يعمل على نشر فكره واستقطاب المزيد من الأتباع، وذلك يجعل الأمر يتفاقم، وتكون معالجته أكثر صعوبة وتكلفة.

المرحلة الخامسة:مرحلة العلاج والإصلاح

وفي هذه المرحلة يكثف الحوار مع الأشخاص المنحرفين فكرياً في أماكن اعتقالهم، ويتم ذلك من قبل المؤهلين علمياً وعملياً في مختلف التخصصات ذات العلاقة، وممن يملكون القدرة والأدوات على إنجاح هذه المرحلة، ومنهم العلماء القادرون على الإقناع ومقارعة الحجة بالحجة، للوصول إلى تراجع هؤلاء المنحرفين فكرياً عن معتقداتهم الخاطئة.

المؤسسات المعنية بتعزيز الأمن الفكري

أما الجهات المعنية بتحقيق الأمن الفكري وجعله واقعاً ملموساً من خلال الإستراتيجية والخطط التنفيذية المختلفة؛ فهي السلطات التنظيمية والقضائية والتنفيذية كل في مجاله واختصاصه، لتشمل جميع الوزارات والأجهزة والمؤسسات الحكومية والأهلية دون استثناء، وفي مقدمتها المؤسسات الدينية، والتربوية والتعليمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والإعلامية، والشبابية والتنظيمية، والقضائية، والأمنية، والإصلاحية (العقابية) وغيرها. وفيما يلي عرض موجز لأهم ما ينبغي أن تقوم به كل منها في هذا المجال.

أولا: المؤسسات الدينية

للمؤسسات الدينية بصفة عامة والمساجد على وجه الخصوص دور بالغ الأهمية في تحقيق الأمن الفكري؛ حيث إن مسؤولية رعاية الشباب وتصحيح معتقداتهم تقع على الجميع، وفي طليعة المناط بهم هذا الأمر العلماء والمفكرون، وذلك بحكم تأهيلهم وقدرتهم على تأدية هذا الدور، ولأن عمل هؤلاء العلماء ذو صلة كبيرة بالمساجد؛ وهو ما يتطلب توليهم القيادة الروحية والفكرية للمجتمع، وسد الذرائع أمام الفتن وحماية الشباب من استغلال المتاجرين بالدين، ونشر العلم والفقه الشرعي القائم على الوسطية والاعتدال، والقيام بكل ما هو ممكن لتحصين عقول الشباب وتصحيح معتقداتهم، وصولاً إلى تحقيق الحصانة الفكرية اللازمة لتحقيق الأمن والاستقرار والرخاء في جميع مناحي الحياة. وبناء على التقسيم السابق لمراحل العمل على تحقيق الأمن الفكري التي تبدأ بمرحلة الوقاية، ثم مرحلة المناقشة والحوار، ثم تقويم خطورة ما يحمله الفرد أو الجماعة من انحراف فكري، ثم مرحلة المساءلة والمحاكمة، والعلاج؛ فإن للمؤسسات الدينية دوراً بارزاً في مرحلتي الوقاية والمناقشة والحوار، ثم في تقويم مدى خطورة ما يتبناه المنحرف فكرياً من معتقدات، فإن تجاوز حد الاعتدال تبلغ الجهات المعنية التي تتولى بدورها مرحلة المساءلة والمحاكمة.

ثانياً : الأسرة

بما أن الأسرة من أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تضطلع بدور حيوي ورئيس في تنشئة الأبناء ونقل ثقافة المجتمع بكل مقوماتها إليهم؛ فإن ذلك يعطيها الفرصة الكبرى لترسيخ المبادئ السليمة التي تتفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وتعالج الانحرافات الفكرية والسلوكية في مهدها، وخصوصاً أنها أول المحاضن التي تتلقف الطفل فور ولادته، ويقضي بين أفرادها أولى سنوات عمره التي يكون فيها كصفحة بيضاء قابلة لما يدون عليها، وقد حث الإسلام على الاهتمام بالعقل وتنميته؛ فالإسلام دين العلم والمعرفة، وأول آية نزلت من القرآن الكريم تأمر بالقراءة، ولذلك كان من أبرز أهداف التربية الإسلامية تنمية عقل الفرد المسلم بتزويده بالعلوم النافعة في مختلف المجالات، وبصورة خاصة الثقافة الدينية التي تجعل الإنسان شخصية اجتماعية سوية قادرة على أداء رسالتها في الحياة، ولذلك ينبغي الاهتمام بهذا الجانب في التعامل مع ظاهرة الانحراف الفكري وقاية ومعالجة، على أن يتم تصميم وتقديم البرامج المناسبة التي تساعد الأسر على الاضطلاع بدورها في مجال تحقيق الأمن الفكري والمحافظة عليه.

ثالثاً : المؤسسات التعليمية

تعد المؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية المعنية بالوقاية من الانحراف وتحقيق الأمن الفكري وحمايته، وذلك من خلال إداراتها ومعلميها ومناهجها وبرامجها الصفية وغير الصفية، ومن خلال مراكز البحوث والدراسات فيها وما يصدر عنها من مطبوعات ودراسات علمية، ونظراً لأهمية العملية التعليمية في الوقاية من الانحراف الفكري والإرهاب فقد دعت الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب في البند الخاص بمجالات ومقومات الإستراتيجية إلى "أن تنص السياسة الوطنية لكل دولة على تضمين المناهج التعليمية القيم الروحية والأخلاقية والتربوية النابعة من الإسلام والعروبة" واعتبار ذلك من تدابير الوقاية من الإرهاب، كما نصت الإستراتيجية الأمنية العربية في سياق عرضها لمقومات الإستراتيجية على ضرورة تحصين المجتمع ضد الجريمة من خلال تضمين المناهج في جميع المراحل الدراسية بالقيم الأخلاقية والتربوية النابعة من أحكام الشريعة الإسلامية، وتطهير هذه المناهج من التيارات الفكرية المشبوهة بما يعصم هذا المجتمع من الزلل والانحراف، ويحول دون تأثره بالتيارات الفكرية المشبوهة والأنماط السلوكية المنحرفة الوافدة؛ ولذلك ينبغي تفعيل دور المؤسسات التربوية

والتعليمية في تحقيق الأمن الفكري باعتباره من أهم متطلبات تحقيق الأمن الوطني والمحافظة عليه؛ وذلك من خلال عدد من البرامج والآليات التي تشمل المحاور التالية: السياسات التعليمية العامة، والتربية الوطنية، والمناهج، والمعلم، والعمل الاجتماعي والنفسي في المؤسسات التعليمية، والأنشطة الطلابية.

رابعا: المؤسسات الأمنية

كما قامت وتقوم المؤسسات الأمنية بدورها الميداني على أكمل وجه فإنه ينبغي تفعيل دورها في تحقيق الأمن الفكري باعتباره من أهم متطلبات تحقيق الأمن الوطني والمحافظة عليه؛ وذلك من خلال التعامل بحزم مع الانحراف الفكري ودعاته، وتطبيق الأساليب العلمية الحديثة في إدارة الأزمات الأمنية باعتبار الانحراف الفكري وما يترتب عليه من تهديد للأمن الوطني من أخطر الأزمات الأمنية التي تعانيها المملكة، وتوفير مقومات تحقيق الأمن الفكري ومتطلبات المحافظة عليه، ومن ذلك: التنظيمات الأمنية الملائمة، والخطط اللازمة، والأدوار والصلاحيات المناسبة للتعامل مع ظاهرة الانحراف الفكري، والاهتمام بالأماكن ذات الكثافة البشرية العالية التي يمكن أن ينشط فيها دعاة التطرف والانحراف الفكري لنشر فكرهم وتوجهاتهم، وتكثيف المتابعة لما ينشر ويروج على شبكة الانترنت من أفكار منحرفة وتحريض على العنف والإرهاب، لضبط الفاعلين،

والحد من تأثيرها في الأمن بصفة عامة، واستشراف المستقبل من خلال الدراسات العلمية الجادة، واتخاذ الإجراءات المناسبة للوقاية والمواجهة والسيطرة على الأحداث، وتبني برامج عملية تساعد على تحقيق الأمن الفكري لدى رجال الأمن أنفسهم لضمان عدم اختراقهم من قبل الجماعات المنحرفة. واتخاذ الإجراءات الكفيلة بعدم تورط مزيد من الشباب في بؤر الصراع الملتهبة في مختلف دول العالم، حيث تسود الجماعات المتطرفة التي تقوم بحقن الشباب المتحمس لخدمة الدين بمعتقداتها المنحرفة، ليصبحوا أدوات للإرهاب والإفساد في الأرض.

خامسا: مراكز البحوث والدراسات العلمية

انطلاقاً من أهمية توظيف البحوث والدراسات العلمية لمعالجة مختلف الظواهر الاجتماعية والأمنية فإن الحاجة قائمة لتفعيل دور البحث العلمي في تحقيق الأمن الفكري باعتباره من أهم متطلبات تحقيق الأمن الوطني والمحافظة عليه؛ وذلك من خلال إقامة مراكز بحوث إستراتيجية متخصصة تعنى بالأمن الوطني الذي يعد الأمن الفكري إحدى ركائزه، وتفعيل المراكز القائمة ودعمها بالإمكانات المادية والبشرية اللازمة لدراسة الظواهر المهددة لأمن الوطني للوصول إلى جذورها واقتراح الحلول المناسبة للوقاية والعلاج

، وإجراء الدراسات الميدانية للكشف عن الأسباب التي تجعل الشباب يتقبلون الفكر التكفيري بسهولة، وعن الوسائل والأساليب التي تستخدم لاستقطابهم إليه، ودراسة الجماعات الإسلامية المعاصرة دراسة متعمقة للاطلاع عن كثب على مناهجها وأفكارها التي قد تدعو إلى التطرف والعنف، أو إلى الحزبية والطائفية، ومن ثم النظر في مدى انتشار تلك الأفكار لدى الشباب ومدى تأثرهم بها، ثم تعرية هذا الفكر وتقديم الحلول والمقترحات لاستئصاله، وجمع التراث الفكري الذي تتبناه الجماعات المنحرفة الموجودة على الساحة (كتب، رسائل، أشرطة، نشرات، مواقع إلكترونية، مطويات...إلخ) من أجل دراسته وتحليله، وتوظيف نتائج الدراسة والتحليل في جهود تحقيق الأمن الفكري بالصورة المناسبة، ومن ثم الرد على ما ورد به من انحرافات فكرية وعقدية وتفنيدها من قبل المختصين، ونشر ذلك على نطاق واسع، وغير ذلك من الدراسات ذات العلاقة؛ على أن تقدم نتائج تلك الدراسات وتوصياتها لصانع القرار لتبنى عليها سياسات وخطط التعامل مع المشكلة.

سادسا: المؤسسات الثقافية والإعلامية

نظراً إلى أن قضية الأمن الفكري ومتطلبات تحقيقه ترتبط بالفكر فإن من أكثر المؤسسات التصاقاً بهذا الجانب هي المؤسسات الثقافية والإعلامية التي ينبغي إسهامها بدرجة فاعلة في تحقيق الأمن الفكري من خلال عدد من البرامج والآليات ومنها على سبيل المثال: تبني بعض البرامج الإعلامية الهادفة التي تسعى إلى تصحيح الفكر،

وتسليط الضوء على أبرز الشبهات والمرتكزات التي تقوم عليها الدعوات التكفيرية والعمل على تنفيدها ودحضها بصورة شرعية، وإعادة النظر في صياغة الرسالة الإعلامية لتكون أكثر فاعلية، ووضع معايير محددة تضمن عدم مساعدتها على تشكيل الانحراف الفكري- بنوعيه إفراطاً وتفريطاً- وذلك من خلال خطط إعلامية متكاملة، مع الالتزام بالسياسة الإعلامية التي تبنتها المملكة العربية ة انطلاقاً من التزامها بما جاء في الكتاب والسنة الحاكمين على جميع أنظمة الدولة، ومنع ما يتعارض مع الثوابت الدينية والوطنية، وإشراك العلماء والمفكرين والأدباء وأساتذة الجامعات وقادة الرأي والخبراء في المجال الأمني والاجتماعي للمشاركة في الجهود التي تبذل لتحقيق الأمن الفكري وتشكيل الوعي الاجتماعي، واستثمار شبكة الانترنت وتوظيفها للتوعية والرد على المغالطات، وأداة للحوار البناء وصولا إلى الإسهام في تحقيق الأمن الفكري من خلال هذه القناة التي يتعاظم خطرها وأثرها يوماً بعد يوم، وتوسيع نشاطات الأندية الأدبية لتشارك في احتضان الشباب وتوظيف طاقاته الإبداعية المختلفة من خلال البرامج التي تسهم في إثراء قدراته الفكرية وتنشر الوعي والتنافس البناء، وترشيد النشر عن حوادث الإرهاب وتغطيتها من قبل وسائل الإعلام والموازنة بين كثافة النشر التي قد تخدم الجماعات الإرهابية والتقصير في التغطية الإعلامية مما قد يؤدي إلى عدم اتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة، واستغلال تلك الحوادث لتعرية الفكر المنحرف الذي يقف خلفها، واستنهاض قوى المجتمع للتعاون في جهود الوقاية والمكافحة.

سابعا: المؤسسات المعنية بالشباب

تشير الإحصاءات العامة إلى أن الغالبية العظمى من سكان المملكة هم من الشباب، كما تشير بيانات وزارة الداخلية المتعاقبة إلى أن معظم المنحرفين فكرياً هم من الشباب أيضا: وهو ما يجعل دور المؤسسات المعنية بالشباب في غاية الأهمية في هذه المرحلة، ومن الإجراءات التي ينبغي أن تقوم بها في هذا المجال: توسيع نشاطات الرئاسة العامة لرعاية الشباب لتشمل ما هو أكثر من الرياضة، ودعمها بكل مقومات النجاح في مهامها التي يجب أن تشمل جميع مناطق المملكة دون استثناء، وتكليفها بالتعامل مع جميع مشكلات الشباب وتطلعاتهم، والسعي من خلال المؤسسات الثقافية والرياضية وغيرها إلى تنمية الانتماء والولاء للثقافة الوطنية بمفهومها العام بعيداً عن الطائفية والإقليمية والقبلية، والتوسع في إنشاء الأندية الرياضية والثقافية والترفيهية وتزويدها بجميع وسائل الجذب لاحتواء الشباب وشغل فراغهم وترشيد استخدام طاقاتهم وقدراتهم فيما يعود بالنفع عليهم وعلى الوطن، وضمان عدم وقوعهم في براثن الانحراف الفكري ودعاته، وغيرها من البرامج والآليات.

ثامنا: المؤسسات التنظيمية والقضائية

للمؤسسات التنظيمية والقضائية دور بالغ الأهمية في تحقيق الأمن الفكري سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ذلك قيامها بتقنين أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالتجريم والعقاب على الانحراف الفكري وما يتصل به من أعمال، وما ينتج منه من إرهاب وفق أنظمة ولوائح محددة، وتجريم استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية- وسائل الإعلام بما فيها الانترنت- لنشر الانحرافات الفكرية الداعية إلى العنف والإرهاب، وإصدار العقوبات الرادعة لمن يثبت تورطه في ترويج الفكر المنحرف ونشره، على أن تكون العقوبات كافية لتحقيق الردع العام والخاص، وتوفير الضمانات اللازمة للعاملين في أجهزة العدالة الجنائية والمتعاونين معهم والشهود ومن في حكمهم؛ لمساعدتهم على أداء مهامهم في مجال تحقيق الأمن الوطني بكل مقوماته.

تاسعا: المؤسسات الإصلاحية

من أجل تحقيق التكامل بين مؤسسات المجتمع المختلفة في الوقاية والمواجهة والمعالجة للظواهر الاجتماعية المختلفة ومنها الانحراف الفكري فإنه ينبغي الاهتمام بما يمكن أن تقدمه الإصلاحيات ودور التوقيف وتنفيذ العقوبات التي تحتضن الموقوفين على خلفية قضايا الانحراف الفكري والإرهاب من حيث أسلوب التعامل معهم بصفة عامة، ومن حيث طريقة قضاء الوقت داخل السجون والإصلاحيات،

وتكثيف برامج التصحيح الفكري من خلال لجان المناصحة والعلاج النفسي، ومن حيث تصنيفهم وعزلهم عن بعض وعن غيرهم من الموقوفين، وفصل الخطرين منهم لتحييد أثرهم في الآخرين، وعدم السماح بأي حال من الأحوال بانتشار وترسيخ المزيد من المفاهيم المنحرفة لدى الموقوفين داخل تلك المؤسسات، وخاصة الذين لا يزالون في مرحلة مبكرة من اعتناق الفكر المتطرف، والاستفادة من تجارب الدول الأخرى التي نبتت بذور التكفير وأصول الجماعات الحركية المتطرفة داخل سجونها.

عاشرا: المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية

نظرا لأهمية البعدين الاقتصادي والاجتماعي وارتباطهما بتحقيق الأمن بمفهومه الشامل، ولما يتذرع به بعض دعاة الانحراف الفكري ومنظريه لاستمالة الشباب وزرع الحقد في نفوسهم؛ ينبغي الاهتمام ببعض الجوانب التي قد تساعد في تحقيق الأمن الفكري، ومن وذلك اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمعالجة قضايا البطالة والفراغ باعتبارها مما قد يؤدي إلى التحاق الشباب بالجماعات المنحرفة، وتوفير فرص العمل الكافية، وتوطين الوظائف، وربط مخرجات التعليم بحاجات سوق العمل، والتوسع في إنشاء مؤسسات التدريب الفني والمهني وتفعيل ما هو قائم منها، وتسهيل إلحاق الشباب بالبرامج التدريبية المناسبة لتكوين المهارات المهنية والاتجاهات الإيجابية نحو العمل المهني، وتحقيق التنمية المستدامة، ومعالجة مشكلة الفقر بصورة فاعلة، وتحسين مستوى الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين من أجل تحقيق الرفاه الاجتماعي في جميع مدن المملكة وقراها.

الأمن الفكري في الاسلام

باستقراء النصوص الشرعية المتعلقة بالأمن وارتباطه بحفظ الضروريات الخمس التي تقوم عليها مصالح الدين والدنيا للفرد والمجتمع- وغيرها من الآيات والأحاديث- يلاحظ انها تدل دلالة واضحة على أن للأمن الفكري أصلاً شرعياً ينطلق منه، ويستمد منه ضوابطه ومحدداته ومتطلبات تحقيقه، وبالنظر إلى مجال الأمن الفكري وموضوعه يلاحظ أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحفاظ على أهم مقاصد الشريعة الإسلامية ألا وهما الدين والعقل، ولا يخفى على أي باحث مدى اهتمام الإسلام بالعقل الذي يعد من أعظم نعم الله على عباده ،حيث كرمهم بالعقل وميزهم به عما سواهم من المخلوقات، فهو مناط الرسالات السماوية التي جاءت لهداية الإنسانية إلى سواء السبيل.

ولذلك نرى أن من أهم متطلبات التأصيل الشرعي للأمن الفكري التعرف على مظاهر اهتمام الدين الإسلامي بتحقيقه والمحافظة عليه، وذلك يتضح من الأمور التالية:

أن من أبرز مقاصد التشريع الإسلامي حفظ العقل الذي يرتبط به الأمن الفكري ومن خلاله يتحقق، وبه يصلح كل شيء أو يفسد؛ فالعقل مناط التكليف وأساسه، فإذا زال العقل زال التكليف الذي يرتبط به وجودا وعدماً، وقد أمر الإسلام بالحفاظ على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم؛ فجاءت الشريعة الإسلامية بحفظ العقل من جانب الوجود بفعل ما به قيام العقل وصلاحه؛ ومن ذلك تأمين المدخلات الصالحة للعقل الإنساني بما يتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف،

كما حفظته من جانب العدم؛ وذلك بحفظه من كل ما يؤثر فيه ويعطله عن أداء وظيفته، حيث حرم الإسلام السحر والكهانة والتنجيم وما قد يذهب العقل كلياً أو جزئياً، كما حرم الإسلام الجناية على العقل بالإتلاف أو الترويع، وجعل الدية كاملة على من تسبب في إزالته، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم "في العقل الدية" (رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم 16009)، كما حرم شرب الخمور والمسكرات وما قد يعطل العقل ويفسده، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: 90)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل مسكر خمر وكل خمر حرام" (رواه مسلم في كتاب الأشربة، حديث رقم 75).

دعا الإسلام إلى الاهتمام بالعقل بالحث على طلب العلم النافع سواء ما كان منه فرض عين لا يعذر أحد بجهله، أو ما كان فرض كفاية، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة لا يتسع المقام لسردها، كما دعا الإسلام إلى التفكر والتدبر والتأمل وإعمال العقل البشري لإدراك الحقائق التي تأتي في حدود ما هو مهيأ له وقادر عليه، ومن أجل توظيف العقل الإنساني لتحقيق المهمة الرئيسة لوجود الإنسان المتمثلة في توحيد الله وعبادته كما أمر، ثم عمارة الأرض التي استخلفه الله عليها. ولذلك يمكن الجزم بأن الدين الإسلامي أكثر الأديان اهتماماً بالعقل البشري على الإطلاق، إذ تعددت وتنوعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى ذلك، وقد جاءت أول أية نزلت من القرآن الكريم لتحث على القراءة،

وتؤكد ذلك الآية الثالثة، وجاءت الرابعة والخامسة مشيرتين إلى أهمية العلم الذي امتن الله به على عباده، حيث يقول تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: الآيات 1-5) وقد أشاد الله- سبحانه وتعالى- بمن استعمل عقله فيما خلق له؛ حيث يقول تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت: 43) ويقول تعالى أيضا: (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) (البقرة: 269). وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين". (رواه البخاري: حديث رقم 71) كما قال عليه الصلاة والسلام: "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين" (رواه البيهقي، حديث رقم 21439) فالعلم وإعمال العقل من أهم روافد الأمن الفكري وسبل تحقيقه والمحافظة عليه.

يحرم الإسلام الانحراف الفكري المتمثل في التطرف والغلو في الدين باعتباره من أهم وأخطر مهددات الأمن الفكري، وقد ورد في مصادر التشريع الإسلامي الرئيسة (القرآن والسنة) آيات وأحاديث كثيرة تنهى عن الغلو وتذمه، ومن ذلك قوله تعالى: (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: 185) وقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: 229) وقوله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة: 6) وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقّ) (النساء: 171)

وقوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْت وَمَنْ تَابَ مَعَك وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير) (هود: 112). وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا" (رواه البخاري، حديث رقم 2873)، كما قال صلى الله عليه وسلم : "وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين". (رواه ابن حبان، حديث رقم 3871).

يقول الإسلام على الوسطية والاعتدال، وعلى رفع الحرج والمشقة، وقد بني الإسلام على اليسر الذي يعد من أبرز خصائصه وسماته، فالتزام الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط أو التفريط يعدان من أهم الضمانات لتحقيق الأمن الفكري خاصة والأمن بمفهومه الشامل عامة، يقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107) ويقول تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143)، ويقول تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج: 78). ومما سبق يتضح أن وسطية الإسلام تستلزم الابتعاد عن الإفراط والتفريط في كل شيء؛ لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط خروج عن جادة الطريق، بالإضافة إلى أن وسطية الإسلام تقتضي إيجاد شخصية إسلامية معتدلة.

ينهي الإسلام عن الابتداع في الدين، حيث إن من دواعي اضطراب الأمن الفكري واختلاله انتشار البدع التي تعود إلى استحسان العقول لما تراه وتغليبه على إتباع النصوص، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). (النور: 63)، ويقول تعالى: (وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر: 7)، ويقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب: 21) ويقول تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: 3)، ويقول تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللّه وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبكُمْ وَاَللّه غَفُور رَحِيم) (آل عمران: 31) ويقول تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَك وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير) (هود: 112). وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد" (رواه مسلم، حديث رقم 1718) وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" (رواه ابن ماجه، حديث رقم 42)، وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" (رواه مسلم، حديث رقم 867).

ينهى الإسلام عن الفتوى والقول على الله بغير علم؛ فتوسيع دائرة الفتوى لتشمل غير المؤهلين لها يوقع المجتمع في الفوضى والاضطراب الفكري، حيث يقول تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ) (الأنعام: 144). وقد جاء في البيان الصادر عن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والخمسين التي عقدت في الطائف ابتداء من تاريخ 11/ 6/ 1424ه بعد أن استعرض ما جرى في المملكة العربية ة من حوادث إرهابية النص الآتي: "...رابعاً: يستنكر المجلس ما يصدر من فتاوى وآراء تسوغ هذا الإجرام أو تشجع عليه، لكونه من أخطر الأمور وأشنعها، وقد عظم الله شأن الفتوى بغير علم، وحذر عباده منها، وبين أنها من أمر الشيطان، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النّاسُ كُلُواْ مِمّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيّباً وَلاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مّبِينٌ إِنّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 168- 169). ويقول سبحانه: (﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ) (النحل: 116)، ويقول جل وعلا: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَك بِهِ عِلْم إِنّ السّمْع وَالْبَصَر وَالْفُؤَاد كُلّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) (الإسراء: 36)، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيء" ومن صدر منه مثل هذه الفتاوى

أو الآراء التي تسوغ هذا الإجرام فإن على ولي الأمر إحالته إلى القضاء ليجري نحوه ما يقتضيه الشرع، نصحاً للأمة، وإبراء للذمة، وحماية للدين. وعلى من آتاه الله العلم التحذير من الأقاويل الباطلة وبيان فسادها وكشف زورها، ولا يخفى أن هذا من أهم الواجبات، وهو من النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويعظم خطر تلك الفتاوى إذا كان المقصود بها زعزعة الأمن وزرع الفتن والقلاقل، ومن القول في دين الله بالجهل والهوى، لأن ذلك استهداف للأغرار من الشباب ومن لا علم عنده بحقيقة هذه الفتاوى، والتدليس عليهم بحججها الواهية والتمويه على عقولهم بمقاصدها الباطلة، وكل هذا شنيع وعظيم في دين الإسلام، ولا يرتضيه أحد من المسلمين ممن عرف حدود الشريعة وعقل أهدافها السامية ومقاصدها الكريمة، وعمل هؤلاء المتقولين على العلم من أعظم أسباب تفريق الأمة ونشر العداوات بينها....".

يأمر الإسلام بالتفقه في الدين، ويحذر من الجهل به، ذلك الجهل الذي أوقع كثيراً من الناس في تبني رؤى وأفكار الغلاة والمنحرفين فكرياً وعقدياً، حيث يرى كثير من أهل العلم أن الجهل بالدين من أهم الأسباب التي أدت وتؤدي إلى ظهور الجماعات المتطرفة التي تكفر المسلمين وتستبيح دماءهم وأعراضهم. فإقامة الدين الإسلامي على الوجه الصحيح تتطلب التفقه في الدين، قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: 122)، وعدم التفقه في الدين يؤدي إلى عدم معرفة مقاصد الشرع، والوقوع في المحظورات سواء كان ذلك في العقائد أو العبادات أو في المعاملات.

يأمر الإسلام بلزوم جماعة المسلمين، ويدعو إلى نبذ النزاعات الطائفية والمذهبية والإقليمية والعصبية التي تؤدي إلى الفرقة وإثارة الفتنة؛ فهي وما يؤدي إليها، وما ينتج منها معاول هدم للأمن الفكري والاجتماعي والسياسي لأي أمة من الأمم، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: 11)، ويقول تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: 25).

يأمر الإسلام بتوحيد مصادر التلقي في العقائد والعبادات والقضايا الكبرى، لما فيه من الخير الكبير الذي يعود على الفرد وعلى المجتمع المسلم، ومن ذلك صيانة الأمن الفكري ووقايته من عبث العابثين وأصحاب الهوى، يقول الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (سورة النساء: 83) ومن الأدلة على ذلك غضب النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى مع عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- صحيفة فيها شيء من التوراة؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟! ألم أت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي" (حديث حسن، أورده الألباني في: كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم 1589).

يقوم الإسلام بغرس العقيدة الإيمانية في النفوس، حيث إن الأمن بمفهومه الشامل- ومن صوره الأمن الفكري- لا يمكن أن يتحقق في غياب الإيمان بالله وإخلاص العبادة له؛ فالإيمان بالله وتطبيق ما أمر به واجتناب ما نهى عنه هو الطريق الأوحد لنيل الأمن والاطمئنان والاستقرار النفسي والاجتماعي، وقد وعد الله عباده الذين أمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين والاستخلاف في الأرض، حيث يقول تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55) ويقول تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ). (الأنعام: 82).

يحذر الإسلام من الحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة، قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (النحل: 116) فإذا كان هذا النهي في التحليل والتحريم في الفروع: فكيف بالأصول؛ في الأيمان والفكر، وما يترتب على ذلك من أحكام، وقد ثبت في الحديث الصحيح

عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" (رواه البخاري، حديث رقم: 5753)؛ ولذلك أجمع العلماء على عدم جواز تكفير أهل القبلة إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان.

وقد أكدت الوقائع والدراسات العلمية أن (التكفير والغلو فيه) دون اعتبار للضوابط الشرعية من أهم وأخطر الانحرافات الفكرية السائدة لدى كثير من الجماعات التي تتبنى العنف والإرهاب المادي والفكري، ما يؤكد أن تحقيق الأمن الفكري يرتبط بالتخلص من هذا الداء.

يحث الإسلام على طاعة ولي الأمر المسلم، ويحذر من الافتئات عليه، فالسمع والطاعة لولاة الأمر أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وكما هو معلوم من الدين بالضرورة أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج على ولي الأمر والافتئات عليه من أعظم أسباب الانحراف الفكري، ولذلك يدعو الإسلام إلى الالتزام بهذا المبدأ العظيم، تحقيقاً للأمن الفكري والاجتماعي والوطني، وذلك إعمالاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء: 59). وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات،

مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية فقتل؛ فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس مني ولست منه" (رواه مسلم، حديث رقم 1848). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني" (رواه مسلم، حديث رقم 1835).

يأمر الإسلام بالعدل والإحسان للمسلم وغيره، إذ يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: 8). كما يدعو الإسلام إلى اللين والتسامح والتآخي، حيث يقول تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: 10)، ويقول تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: 159). كما وضع الإسلام الضوابط الشرعية لعلاقة المسلم بغيره من غير المسلمين، وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم، خصوصاً أن الإخلال بالأمن الفكري قد ينتج من اتصال الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى على اختلاف مشاربها وثقافتها ومعتقداتها، فيحدث ما يحدث من الغزو الفكري والثقافي، مما يتطلب الالتزام بمنهج الإسلام في التعامل مع الآخرين.

يهتم الإسلام بالتربية والتنشئة الاجتماعية باعتبارها من أهم مقومات تحقيق الأمن الفكري والسلوكي والأخلاقي، حيث تتميز التربية في المجتمعات الإسلامية عن التربية في المجتمعات الأخرى في الأهداف والغايات والوسائل والأساليب، حتى ولو اتفقت معها في بعض الوسائط والمؤسسات التربوية التي تتحقق من خلالها التنشئة الاجتماعية، فالإسلام يقدم منهجاً تربوياً متكاملاً، يجعل الإنسان يحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته.

والتربية الإسلامية عبارة عن تنمية مقصودة لفكر الإنسان، وتنظيم لسلوكه وعواطفه على أسس من الدين الإسلامي من أجل تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والمجتمع، ولذلك تتعلق التنشئة الاجتماعية في الإسلام بادئ ذي بدء بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الخالق، وعن الكون، وعن الحياة ودوره فيها، وعن علاقاته بمن حوله. ولذلك اهتم الإسلام ببناء الأسرة المسلمة وحمايتها، وجعلها آية من آيات الله، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: 21)، ويتجلى اهتمام الإسلام بالأسرة في إرساء الكثير من المبادئ التربوية ومنها الاهتمام بتربية الأبناء الذين يعدون ثمرة الحياة الزوجية، حيث يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم: 6)

ثم تتدرج هذه المبادئ التربوية لتشمل جميع جوانب الحياة بدءاً بصيانة الفطرة التي يخلق عليها الإنسان؛ حيث يقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (رواه البخاري، حديث رقم 1319)؛ وصولاً إلى إكساب الفرد المسلم جميع الخصال الحميدة ليكون عضواً فاعلاً في مجتمعه، وبذلك تسهم التربية الصالحة في تحقيق الأمن الفكري والعقدي والسلوكي على حد سواء.

ومما سبق تتضح مشروعية الأمن الفكري، ويتضح مدى اهتمام الإسلام بتحقيقه للفرد وللمجتمع المسلم، حيث دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ما يفيد بأن تحقيق الأمن الفكري لا يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي؛ بل ينسجم معها، ويستمد منها مقومات تحقيقه والمحافظة عليه، ومن ثم يكون كل عمل موجه لتحقيقه عملاً مشروعاً، وأن ما تقوم به الدولة وولاة أمرها في سبيل تحقيقه والمحافظة عليه إنما هو من مقتضيات السياسة الشرعية التي يقوم بها ولي أمر المسلمين لحفظ مصالح الدين والدنيا للمجتمع.

الفصل الثاني

قيم وأخلاقيات تدعم الأمن الفكري

الاعتدال

1- مفهوم الاعتدال:

أ - الاعتدال في اللغة:

جاء في المنجد في اللغة والأعلام " العدل: القصد في الأمور "

وجاء في القاموس المحيط " أعدال وعدول، وعديلك مُعادلك، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف ".

وجاء في معجم مقاييس اللغة: العدل مصدر عَدَلَ يَعدِل عَدلاً وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل على معنيين متقابلين أحدهما يدل على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأول.

ب-الاعتدال في الاصطلاح:

جاء في التعريفات "العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة في الشريعة عبارة عن الاستقامة على الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً ".

ويمكن أن يعرف بأنه التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين: الإفراط والتفريط.

2- الأدلة في ذكر الاعتدال:

يصح أن تذكر الأدلة السابقة في مبحث الوسطية أن تذكر هنا في الاعتدال، وهناك أدلة أخرى في ذكر العدل ومنها:

- قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ **سورة الأعراف**: الآية (159). قال ابن الجوزي: " قال الزجاج : وبالحق يحكمون "

3- علاقة الاعتدال بالأمن الفكري:

من خلال التعريفات السابقة، والأدلة يتبين الارتباط الوثيق بين الاعتدال والأمن الفكري، حيث إن المنهج الشرعي في معالجة المستجدات قائم على النظر في الأدلة ومعرفة مقاصد الشريعة التي تسعى دائماً إلى كل ما يحقق السعادة للمجتمع، وهذا لا يتأتى إلا بلزوم المنهج المعتدل الذي هو في حقيقته خاصية أساسية من خصائص الشريعة الإسلامية، وبالتالي يتحقق للفرد أمنه في فكره، ويقود إلى تحققه في المجتمع.

الوسطية

الوسطية من خصائص الأمة الإسلامية، ومن أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة، وسيكون الحديث حول هذا المصطلح بذكر المفهوم، والأدلة عليه، وسماته، ومظاهره، وعلاقته بالأمن الفكري.

1- مفهوم الوسطية:

أ- الوسطية في اللغة:

مشتقة من مادة (وَسَطَ)، قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه "

فكلمة (وسط) تضبط على وجهين:

الأول: (وَسْط) بسكون السين وهو ما كانت أجزاؤه منفصلة فتكون ظرفاً بمعنى (بين)، قال ابن منظور "وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين)"

الثاني : (وَسَطَ) بفتح السين وهو ما كان متصل الأجزاء فتأتي على معانٍ متعددةٍ متقاربةٍ غالباً، منها "العدل والخيار والشرف في الحسب والنسب"، ومنها "العزة، والقوة، والمنعة، والظهور".

" وقد وردت هذه المعاني في لفظ (وَسَطَ) و (وَسْطَ) ومشتقاتها في أشعار العرب وآدابها، وورد أكثرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا يتسع المقام هنا لذكرها مفصلة وإنما يمكن القول بأن وسطية الأمة الإسلامية تعني من تلك المعاني المتعددة أن الأمة الإسلامية خيار الأمم في ذاتها، وأعدلها في حكمها، وأنصفها في شهادتها على الناس، وأقومها في السير على منهج الله، كما أنها وسط بين الأمم من حيث الزمان والمكان".

ب- الوسطية في استعمال الشارع:

هو موقف بين موقفين في فهم النصوص والتعامل معها وهي اتجاه بين اتجاهين بين ظاهرية مفرطة وباطنية مفرطة، فيه موقف وسط في التعامل مع المقاصد والنصوص الجزئية.

وقد وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع وذلك بتصاريفها المتعددة، وسيكون ذكر الأدلة في النقطة التالية.

2- الأدلة في ذكر الوسطية:

- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .أي: عدلا وخيارا

- وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ . قال ابن الجوي: "وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أوسط الصلوات محلاً.

والثاني: أوسطها مقداراً.

والثالث: أفضلها. ووسط الشئ: خيره وأعدله "

- وقال تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **سورة المائدة: الآية (89).** قال ابن الجوزي: " فيه قولان:

الأول: من أوسطه في القدر، قاله عمر وعلي وابن عباس ومجاهد ﷺ.

الثاني: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر والحسن ﷺ"

- وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ **سورة القلم: الآية (28)**

قال ابن الجوزي: " أي أعدلهم وأفضلهم ".

- وقال تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ **سورة العاديات: الآية (5).** قال ابن الجوزي:"

قال المفسرون المعنى: توسطن جمعاً من العدو، فأغارت عليهم"

- ومن الأحاديث: عن أبي الدرداء ﷺ قال: إن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الوالد أوسط أبوب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه " **رواه الترمذي، برقم (1900)**

- وقوله ﷺ: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أوسط الجنة و أعلى الجنة أُراهُ فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنها الجنة" رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير. قال ابن حجر : " أوسط الجنة أو أعلى الجنة والمراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل "

وعلى ذلك فإن الوسطية تتحقق في الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم وأعدلها ووسطيتها لأنها تنتسب إلى أعظم المناهج وأفضل الشرائع خصها به رب العالمين سبحانه وتعالى ورضيه لها ديناً.

3- سمات المنهج الوسطي:

الوسطية لها سمات، وهذه السمات ذكرتها النصوص ووجدت في سلوك الصحابة وأئمة الإسلام، ومن هذه السمات ما يلي:

- أنها شريعة العدل في الأحكام والتصرفات.
- أن هذا المنهج موافق للعقل السليم، و الشرع الصحيح بنصوصه وقواعده واجتهادات العلماء فيه يدعوا إلى الوسطية وينهى عن الغلو.
- أن الوسطية والاعتدال يبرآن من الهوى ويعتمدان على العلم الراسخ.

-

- أن الوسطية تراعي القدرات والإمكانات.
- أن فيها مراعاة للزمن والناس، فالزمن يتغير، والناس أيضاً يحتاجون إلى تجدد باعتبار الزمن وباعتبار التغير.

4- مظاهر المنهج الوسطي:

تتجلى وسطية الأمة الإسلامية في شتى الأمور سواء في باب العقيدة أو الأحكام أو السلوك أو الأخلاق، ومن المظاهر ما يلي:

أ- وسطية في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل: فأهل السنة أثبتوا الصفات لله إثباتا بلا تمثيل، وينزهونه عن مماثلة المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل.

ب- وسطية في باب الوعد بين المرجئة وبين الوعيدية: فالمرجئة يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، أما الوعيدية فهم الذين يقولون يجب على الله عقلا أن يعذب العاصي، ويكفرون أهل الكبائر، أما أهل السنة فهم بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من الوعيدية.

ت- وسطية في مسألة التكفير: فهناك من يسارع إلى التكفير ويكفرون بالكبيرة، كحال الخوارج، وفي المقابل هناك من منع التكفير مطلقاً، أما أهل السنة فهم لا يمنعون التكفير بإطلاق، ولا يكفرون بكل ذنب.

ث-

ج- وسطية في محبة النبي ﷺ بين الغالين والجافين: فهناك من غلا في محبة النبي ﷺ ورفعوه فوق منزلته كحال غلاة الصوفية، وهناك من جفا في حقه وأعرضوا عن شرعه كغلاة الباطنية، أما أهل السنة فتوسطوا فيرون أنه عبد الله ورسوله وأنزلوه منزلته اللائقة به.

ح- وسطية في أصحاب النبي ﷺ بين الرافضة والخوارج: فالرافضة يسبون الصحابة ﷺ وربما كفروهم، ويغلون في علي وأولاده، وأما الخوارج فكفروا علياً ومعاوية ومن معهم من الصحابة ﷺ، وأما أهل السنة فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء فاعترفوا بفضل الصحابة ولكن لم يغلوا فيهم.

خ- وسطية في باب العقل بين الذين ألهوه وبين الذين ألغوه: فأهل السنة لا يلغون العقل وفي الوقت نفسه لا يؤلهونه ولا يجعلونه حاكماً على نصوص الوحي.

د- وسطية في التعامل مع العلماء: فهم يحبون علماءهم ويتأدبون معهم ويحسنون الظن بهم، ثم إنهم في نفس الوقت يرون أن العلماء غير معصومين يجوز عليهم الخطأ والنسيان، إلا أن ذلك لا ينقص من قدرهم.

ذ- وسطية في التعامل مع ولاة الأمور: فهم ليسو كالخوارج الذين يرون جواز الخروج على ولاة الأمور، وليسوا كالمفرطين المداهنين المتخاذلين الذين يسكتون على ظلم الولاة ويتركون نصحهم والإنكار عليهم.

ر–

5- علاقة الوسطية بالأمن الفكري:

من خلال ما سبق من بيان مفهوم مصطلح الوسطية وذكر الأدلة وبيان الخصائص والمظاهر يتبين العلاقة الوثيقة بين المنهج الوسطي وتحقيق الأمن الفكري، حيث إن بداية أي انحراف وتطوره حتى يصل إلى التكفير لم يكن ليصل إلى هذا الأمر لولا الابتعاد عن المنهج الوسطي، فالابتعاد عن المنهج الوسطي هو بسبب خلل فكري قاده إلى عدم الفهم الصحيح للأدلة وعدم معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وبالتالي يصل إلى انحراف فكري يتطور بعده إلى غلو أو تقصير.

وعلى ذلك فإن الأمن الفكري يعني حماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك، ويحقق هذا المعنى الالتزام بالوسطية لأنها تحول دون الشطط الذي يلحق بالفكر فيجعل صاحبه منحرفاً فكرياً.

الاستقامة

إن الاستقامة على دين الله وسلوك الصراط المستقيم من أعظم أسباب تحقيق السعادة وخلو المجتمع من أي انحرافات، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن بيان مفهوم الاستقامة وذكر الأدلة عليها، وأسباب تحصيلها، وثمراتها، وعلاقتها بالأمن الفكري.

1- مفهوم الاستقامة:

أ- الاستقامة في اللغة:

مصدر استقام على وزن استفعل، وهو مأخوذ من مادة (قَ وَ مَ) التي تدل على معنيين: أحدهما جماعة من الناس، والآخر انتصاب أو عزم، وإلى هذا المعنى ترجع الاستقامة في معنى: الاعتدال، يقال قام الشئ واستقام إذا اعتدل واستوى.

ب- الاستقامة اصطلاحاً:

" هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنةً ولا يسرةَ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك ".

2- الأدلة في ذكر الاستقامة:

قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾. " أي دلنا وأرشدنا ووفقنا إلى الطريق الواضح الموصل إلى الله وجنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فالهداية إلى الصراط المستقيم هو لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان".

- وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام: الآية (153).

إن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة، وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير، وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء"

3- أسباب تحقيق الاستقامة:

إن الاستقامة مطلب عزيز وغاية شريفة لا يمكن تحصليها بالتمني، بل لابد من بذل الجهد لتحقيقها ومن الأسباب المعينة على ذلك ما يلي:

- من أهم أسباب الاستقامة إرادة الله لهذا العبد الهداية، وشرح صدره للإسلام، وتوفيقه للطاعة والعمل الصالح.

- الإخلاص لله تعالى، ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- الاستغفار والتوبة.

- طلب العلم: والمقصود به علم الكتاب والسنة، لأنه الوسيلة لمعرفة الله تعالى وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- معرفة خطوات الشيطان للحذر منها.

4- ثمرات الاستقامة من خلال الأدلة السابقة:

- تتنزل على أهل الاستقامة الملائكة بتطمينهم.

- الطمأنينة والسكينة.

- البشرى بالجنة.

- سعة الرزق في الدنيا.

- الانشراح في الصدر والحياة الطيبة.

-

5- علاقة الاستقامة بالأمن الفكري:

إن المتأمل في نصوص الوحيين، وما ذكر في الآيات السابقة من الاهتمام بالاستقامة والدعوة إليها فإنه يجد ترابطاً وثيقاً بين الاستقامة وبين تحقيق الأمن الفكري، فكل منهما مستلزم للآخر ويؤدي إليه، فلا استقامة بلا أمن فكري، كما أنه لا يمكن أن يتحقق الأمن الفكري بالابتعاد عن الاستقامة على منهج الله، بل إن من ثمرات الاستقامة هو حصول الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف الذي هو المطلب الأساس للأمن الفكري كما ذكر في الآيات السابقة.

الفصل الثالث

الانحراف الفكري

تعريف الانحراف الفكري

أولاً : تعريف الانحراف

الانحراف عن الشيء لغة هو العدول عن الصواب، والحرف من كل شيء هو طرفه وشفيره يقول تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ الحج ــ (11). ،أي على شك وعلى غير طمأنينة على أمره ، أي لا يدخل في الدين متمكناً وإنَّما على طرفٍ ، فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر.

ثانياً : تعريف الفكر

الفكر في اللغة : عرف ابن منظور في لسان العرب الفكر بقوله : الفكر، والفكر : أعمال الخاطر في الشيء (...) والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري. وقال الجوهري : التفكر: التأمل . وعرفه الفيروز آبادي بقوله : الفكر، بالكسر ويفتح، أعمال النظر في الشيء كالفكرة وعرفه صاحب(المعجم الوسيط) بقوله : "الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول]و[الفكرة : الصورة الذهنية لأمر ما

الفكر عند بعض العلماء والمفكرين قديما وحديثا: نظرا لطبيعة المعرفة في البيئة الإسلامية الأولى، ودخول العلماء والمفكرين ميدان استنباط العلوم والمناهج والأدلة، وبروز إشكالات من قبيل ما هو كلامي أو فلسفي في الثقافة المعرفية الإسلامية، كان لهذا المفهوم حضورا في مجموع السجلات والتأليفات، وإن لم يكن في كثير من الأحيان بصيغة الفكر، وإنما جاء في كثير من المرات بصيغة العقل والتأمل والتدبر والنظر. وفما يلي بعض التعريفات المعطاة لهذا المفهوم :

أ- يقول أبو حامد الغزالي : "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة وقد جعل الفكر مرادفا للتأمل والتدبر.

ب- وبالنسبة لإمام الحرمين الجويني، يدلل الفكر على النظر، يقول : "والنظر في اصطلاح الموحدين هوا لفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن؛ ثم ينقسم النظر إلى قسمين : إلى الصحيح وإلى الفاسد' فالانحراف الفكري الذي نقصده هو :العدول عن الصواب لتردد القلب في شبهة غير شرعية مضرة ضرراً متعدياً بصاحبها المخطئ أو الخاطئ.

أسباب الانحراف الفكري

غياب دور الأسرة.

للتفكك الأسري وغياب دورها آثاراً خطيرة ، لأن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى في التصور الإسلامي ، وفي هذه الوحدة تنشأ الأجيال ويربى الأبناء فإذا كانت تنهض على دعائم راسخة من القيم الصحيحة التي تجعل من أفرادها جسداً واحداً وبنياناً مرصوصاً فإن ذلك يثمر أطيب الثمرات في حياة الأسرة والمجتمع .

أمَّا إذا كان تلك الوحدة قد انفرط عقدها ، وكان القلق والصراع والنشوز غالبا عليها فإن ذلك يرتد على كل أفراد الأسرة بآثار تطبع حياتهم بطابع الاضطراب والانحراف ، ويكون لهذ أثره السلبي على المجتمع ، لأن الأسر هي الخلايا الأولى التي يتكون منها جسم المجتمع وبصلاحها يصلح هذا الجسم ، وبفسادها يدب إليه السقم والانحلال ، فالأبناء الذين ينشئون في أسرة مفككة مفرقة ، لا تعرف بين أفرادها إلا النفور والكراهية ، ولا تكون نشأتهم طبيعية بل تترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية من الحياة والأحياء ، ويتمثل ذلك في الانحراف والتمرد على القيم والنظم والقوانين

فالأسرة تُعد المحضن الأساسي الذي يبدأ فيه تشكيل الفرد وتكوين اتجاهاته وسلوكه بشكل عام ، وهي تضع الأسس الأولى لميول واتجاهات الطفل ، و تعد أهم مؤسسة اجتماعية تؤثر في شخصية الإنسان وذلك لأنها تستقبل الوليد أولًا ثم تحافظ عليه خلال أهم فترة من فترات حياته وهي فترة الطفولة لأنها فترة بناء وتأسيس كما يعرِّف ذلك علماء النفس" وكما يقرر ذلك حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، فالطفل عجينة بين يدي والديه يشكلانها كيفما يشاءان لذا فقد حذر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التفريط في ذلك فقال: ــ صلى الله عليه وسلم ــ (كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت فالأب مسئول عن أسرته و بنيه فهو راع عليهم ومسؤول عن رعيته كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.. فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها و مسؤولة عن رعيتها)

فكل من ينشأ في أسرة مترابطة لا تعرف غير العواطف النبيلة والمشاعر الطيبة والتوجيه الحكيم والحنان الفطري تكون نشأته سوية تكسبه قوة في الجسم والعقل وتجعل منه في المستقبل طاقة مبدعة ، ولهذا كان الأبناء الذين لا ينشئون في أسرة ولا يذوقون حنان الأبوين لا يتمتعون بما يتمتع به سواهم ممن شبوا في رعاية الوالدين مهما توفر لهم دور الرعاية الاجتماعية وملاجئ اللقطاء من أسباب الصحة الجسمية ، ومن هنا يبدو جلياً مدي خطورة تفكك الأسرة على مستقبل الأبناء وعطائهم للمجتمع

يقول الشيخ عبدالله ناصح علوان : " من العوامل الاساسية التي تؤدي إلى انحراف الولد ، احتدام النزاع واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في أعظم ساعات الاجتماع واللقاء ، فالولد حين يفتح في البيت عينيه ، ويرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه ، سيترك حتما جو البيت القاتم ، ويهرب من محيط الأسرة الموبوء ، ليفتش عن رفاق يقضي معهم جُلَّ وقته ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه ، فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ، ورفقاء شر ، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ، ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق ، وأقبح العادات بل إنَّ انحرافه سيتأكد ، وإن إجرامه سيتحقق ، ليصبح أداة خطر وبلاء على البلاد والعباد.

الجهل.

الجهل في اللغة ضد العلم والمعرفة ، وقيل هو السفه أي ضد الحلم وهو شدة الأنفة والخفة والغضب ، والعرب قد أطلقت المعنيين على الجهل.

قال الأستاذ هشام أحمد جعفر : " النصوص الشرعية في القرآن والسنة قد استخدمت هذه المادة (جهل) في المعنيين سالفي الذكر وزادت عليهما معناً ثالثاً ، بأن جعلت من الجاهلية مذهباً وطريقة حياة تضاد وتقابل منهج الحياة في الإسلام، فمثلاً من الآيات التي وردت فيها هذه المادة بمعنى عدم العلم قوله تعالى : {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ} النساء ، (17).

ومن الآيات التي وردت فيها بمعنى الطيش والسفه قوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } الأعراف ، (199)

ويقول الله تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم في الإعراض عن الجاهلين : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ: " أي خذ ما عفا لك الله من أفعال الناس وأخلاقهم ، وتمهل من غير كلفة .. ولا تطلب منهم الجهد ولا تشق عليهم حتى لا ينفروا ، وأعرض عن الجاهلين أي لا تكافي السفهاء بمثل سفههم ، ولا تمارهم واحلم عليهم واغضض على مايسوؤك منهم".

ومن الجهل بالدين الأخذ بظواهر النصوص من غير اعتبار للنُّصوص الأخرى ، فلقد تجرأ البعض على إصدار الأحكام في الأمور الاعتقادية وذلك من ظواهر بعض الآيات أو الأحاديث دون علم بباقي النصوص ولا بحكم الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، بل تجاوزوا وزعموا أنَّ كتب الفقه لا تصلح لهذا العصر الذي نعيش فيه ، لذلك لم يأخذوا بأقوال الصحابة وأقوال الفقهاء، ونتيجةً لذلك فقد وقع هؤلاء في أخطاء شنيعة وجسيمة.

بل بعض النَّاس ذهب إلى أبعد من ذلك وقالوا : علينا أن نأخذ من القرآن مباشرة دون السنة ، ونتعامل مباشرة مع القرآن ونستمد منه أحكاماً تلائم الظروف التي نعيش فيها ، والملابسات التي تمربها دعوة الإسلام في عصرنا هذا.

ورد في كتاب الأم أنَّه جاء رجلٌ إلى الإمام الشافعي وأثار قضية الاقتصار على القرآن ، مبيناً أنَّه عربي وأنَّ القرآن نزل بلغته ، وقد قال الله عزَّ وجل في القرآن : { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} النحل ، (89)، إذاً ليس هنالك حاجة إلى الاحتجاج بالسنة ، ويُقتصر على القرآن فقط ، فأجاب الإمام الشافعي على هذا الرجل مفنداً دعواه هذه فقال : " قال الله عز وجل : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} الجمعة ، (2).، قال الرجل : فقد علمنا أنَ الكتاب كتاب الله ، فما الحكمة ؟قال الإمام الشافعي: " سنة رسول الله (ﷺ)" ، ثمَّ ذكر الإمام الشافعي أنَّ الله تعالى فرض اتباع رسوله (ﷺ) وهو كتاب الله تعالى وسنَّة نبيه (ﷺ)

يقول الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في رده على بعض جهلة الدعاة : " ومع الأسف الشديد فإنَّ البعض من الدعاة أو المتحمسين قد يقع في الخروج عن الكتاب والسنة ولكن باسم الكتاب والسنة . والسبب في هذا يعود إلى أمرين اثنين :

الاول: ضحالة العلم.

الثاني: وهو **مهم جداً** : أنهم لم يتفقهوا في القواعد الشرعية ، والتي هي أساس الدعوة الإسلامية الصحيحة ، التي يُعد كل من خرج عنها من تلك الفرق المنحرفة عن الجماعة التي أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث ، ومن هنا ضلت طوائف كثيرة جداً لأنهم لم يلتزموا سبيل المؤمنين ولكن ركبت عقولهم واتبعوا أهوائهم في تفسير الكتاب والسنة ثم بنوا على ذلك نتائج خطيرة جداً خرجوا بها عما كان عليه السلف الصالح" .

إنَّ الجهل وقلة الفقه في الدين وكذا العجلة وترك الأناة هو الذي أوقع الكثير من الشباب في أخطاء لا تُحصى ولا تُعد اكتوت المجتمعات الإسلامية بنيرانها وأدت إلى قطع الصلات والأرحام بين كثير من الأسر ، واتُّهم الأبرياء بسببه بالكفر والفسق والظلم والعصيان ، من غير مجالسة العلماء المختصين في مجال الفتوى ومجالستهم في دور العلم المختلفة ، فالله نسأل أن يُفقه شبابنا وأن يُعيدهم إلى رشدهم إنَّه خير مسئول وبالإجابة جدير.

المطلب الثالث: وسائل الإعلام.

هذا العصر يمتاز بأنه عصر الإعلام وتدفق المعلومات وتعدد وسائل الاتصال وتطورها مما يجعل التحكم فيما تبثه من مواد إعلامية وفكرية وثقافية ومعرفية وتقنية ، إلخ أمراً بالغ التعقيد والصعوبة ، والإعلام سلاح ذو حدين إن أحسن استخدامه يكون إيجابياً وإلا فلا ، فالأمر يتعلق بالقائمين عليه ، إن اتقوا ربهم وصلحت نواياهم ، واستقامت أهدافهم ، أصبح عاملاً مهماً من عوامل صلاح الفرد والمجتمع ، بل والأمة فهو يتحدث عن قضاياها ويبث همومها ، ويحافظ على ثوابتها ، وينشر فكرها السليم ويغرس قيمها وأعرافها الفاضلة ، وأخلاقها الحسنة ، ويدعم قضاياها المصيرية ، ويدافع عن مكتسباتها وثرواتها وخيراتها . . وباختصار فهو في هذه الصورة يحقق مصالح الدين والدنيا . والعكس بالعكس.

مظاهر الانحراف الفكري

الغلو

الغلو لغةً:

قال الخليل بن أحمد : باب الغين واللام غلو ، وغلا الناس في الأمر ، أي تجوزوا حده ، كغلو اليهود في الدين ، وغلا الحب ارتفع وازداد.

وفي الصحاح للجوهري : غلت القدر تغلي غلياناً وغلياً ، وغلا في الأمر يغلو غلواً أي جاوز الحد ، والغلوة مقدار رمية ، وغالى باللحم أي اشتراه بثمن غالٍ.

الغلو اصطلاحا:

الغلو مصطلحٌ شرعي ورد في نصوص الكتاب والسنة في صياغ النهي والذم ، وقد عرفه العلماء بتعاريف متقاربة ، منها: (مجاوزة الحد بأن يُزاد في حمده أو قدحه أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك.

ويعرفه الإمام بن جرير الطبري ويقول : " وأصل الغلو في كل شيء هو مجاوزة حده الذي هو حده ، ويُقال منه في الدين غُلو فهو يغلو غلواً".

ويذكر الشيخ العثيمين فيقول : الغلو هو مجاوزة الحد في الثناء قدحاً ومدحاً وفي التعبد وفي العمل.

والمدلول الفقهي للفظ الغلو مأخوذ من المعنى اللغوي فلا يخرج استعمال العلماء للكلمة عن معناها اللغوي وذلك للارتباط الكامل بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

الأبعاد التاريخية لظاهرة الغلو:

من الثابت في الشرع أنَّ النَّاس كانوا منذ أول عهدهم على التوحيد الخالص ثمَّ طرأ عليهم الشرك ، والأصل في هذا قول الله تعالى : {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} البقرة ، 213.

أورد ابن كثير قول قتادة : " كان النَّاس أمة واحدة " قال : كانوا على الهدى جميعاً ثم اختلفوا، فالآية ترشدنا إلى أنَّ الناس كان أمة واحدة ثم اختلفوا ، إذا تبن هذا فإنه من المهم جداً أن يعرف المسلم كيف ولما طرأ الانحراف على المؤمنين بعد أن كانوا مستقيمين ، حتى يتجنبوا وذلك من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه.

لقد ورد عن جماعة من السلف روايات كثيرة في تفسير قوله تعالى : {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}(نوح ، 33) ، أنَّ وداً ومن ذُكر معه كان رجلاً صالحاً وكان محبباً في قومه ، فلما مات عسكروا حول قبره ، وجزعوا عليه ، فلمَّا رأى إبليس جزعهم عليه تصور في صورة إنسان ثمَّ قال : أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به ، قالوا نعم فصور لهم مثله فوضعوه في ناديهم ، وجعلوا يذكرونه ، فلمَّا رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل لكم في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله ، فيكون في بيته فتذكرونه ، ففعل وجعلوا يذكرونه قال: وأدرك أبنائهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسلوا ، ودرس العلم حتى عبدوه ، قال : وكان أول ما عبد غير الله في الأرض ، ود(الصنم الذي سمّوه بود).

وقد ذكر الأستاذان الجليلان ناجح إبراهيم عبدالله وعلى محمد على الشريف على شبكة الإنترنت عدداً من مظاهر الغلو ، فمن هذه المظاهر ما يلي:

1- **التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر:** في الأمور الاجتهادية والأمور المحتملة ، وكثيرا ما يجعل الأمور الاجتهادية أموراً مقطوعة ويقينية ليس فيها الا قولاً واحداً وهو قوله (ولا رأي الا رأيه) .

2. **إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به:**

(ومن مظاهر الغلو الديني التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير والزام الآخرين به حيث لم يلزمهم الله به ، فلا ينبغي لمسلم ان يرفض التيسير في وقت الحرج وأن يرفض الرخصة التي رخصها الله ويلزم جانب التشدد) .

والله تعالى يقول : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة ، 185. وعائشة رضى الله عنها تقول : (ما خير رسول الله (ﷺ) بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما) وإن من التشدد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات وكأنها محرمات ، فلا تلزم الناس الا بما الزمهم الله تعالى به جزما وما زاد على ذلك فهم مخيرون فيه إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا ، وندلف في هذا السياق إلى حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيح في قصة ذلك الاعرابي الذي سأل النبي (ﷺ) عما عليه من فرائض فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة ورمضان ، فقال هل على غيرها ؟ فقال : لا . إلا ان تطوع ، فلما أدبر الرجل قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبي (ص) : (افلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق).

3. التشدد في غير موضعه :

ولما كان التشدد أحد أهم مظاهر الغلو في الدين ، فإنه يكون أعظم اذا كان في غير زمانه ومكانه ، كأن يكون مع قوم حديثي العهد بالإسلام أو حديثي عهد بتوبة ، أو في غير دار الاسلام وبلاده الاصلية ، فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية والأمور الخلافية ، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات وتصحيح عقائدهم أولاً ، كما جاء في حديث رسول الله (ﷺ) لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن : (انك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا ....).

4. الغلظة والخشونة :

ان من مظاهر الغلو والتشدد في الدين الغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب والفظاظة في الدعوة خلافا لأمر الله ورسوله فقد قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران ،(159).

وقال الرسول (ﷺ) ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) ، وفي تحليل لموقف الشباب من الناس في هذا الشأن للأسف الشديد نجد بعض شباب الحركات الاسلامية يتحاورون ويتعاملون بالغلظة مع الناس ، لا يفرقون في ذلك بين كبير وصغير ، ولا بين من له حرمه خاصة كالأب والأم ومن ليس كذلك ولا بين من له حق التوقير والتكريم كالعالم والفقيه والمعلم والمربي ومن ليس كذلك ، ولا يفرقون بين من هو معذور ومن ليس كذلك ، ومن هو جاهل ومن يعادي الاسلام عن عمد وعلم وبصيرة).

5. سوء الظن بالناس :

ومن مظاهر الغلو والتشدد ولوازمه سوء الظن بالآخرين ، فالأصل عند المتشدد هو الاتهام ، والاصل في الاتهام الادانة خلافا لما تقرره الشرائع والقوانين : (ان المتهم برئ حتى تثبت إدانته) ان المتشددين يرجحون احتمال الشر على احتمال الخير ، ويعتبرون من يخالفهم متهم في دينه أو يرمونه بالابتداع ،ان ولع من يكفرون المسلمين بالهدم لا بالبناء ولع قديم وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم أمر معروف ، والله سبحانه وتعالى يقول : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى). بل أن رسول الله (ﷺ) يقول : (اياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث). فيجب على المسلم العدل والانصاف وأن يزن الناس بميزان الشرع والوسطية ولا ينبغي له ان يحقر أخاه المسلم ، فقد قال الرسول (ﷺ) (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)

6. النظرة المثالية للمجتمع :

ان من مظاهر الغلو ان ينظر المرء الى المجتمع وأفراده نظرة مثالية ، وانه ينبغي ان يكون خاليا من المعاصي ويسوده الحب والمودة والطاعة ، وهذه نظرة مثالية وغلو في التصور وبعد عن الواقع ، وقد كانت المعاصي والذنوب في كل الأمم وفي اتباع الرسل فهي فيمن دونهم من باب أولى ، وان كل ابن آدم خطاء كما قال رسول الله (ﷺ) : (ولو لم يذنب البشر لخلق الله بشرا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم).

وقال تعالى : (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)، والاحاديث التي دلت على وقوع بعض المعاصي والذنوب في عهد الصحابة رضى الله عنهم كثيرة وذلك لبيان ان خير القرون هو قرن الرسول (ﷺ) لم يكن خاليا من المعاصي سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر، وقد حصل في عهدهم من قتلٍ وسرق وزنى وشرب الخمر ، وكلها ذنوبٌ لا تُخرج من دائرة الاسلام.

فديننا الحنيف ينهى عن الغلو والتشدد وذلك لقوله (ﷺ) : " إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين"، ولقول النبي (ﷺ) :" إنَّ الدين يسر ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوةِ والروحةِ وشيءٍ من الدُّلْجة"، فكل الآثار التي ذُكرت وأقوال العلماء ترشدنا إلى أنَّ الغلو خروج عن المنهج المستقيم وتعدى على الحق ، ولو تتبعنا الأدلة التي تنهى عن الغلو لما أمكننا حصرها إلا بكلفة ومشقة ، وليس هدف البحث حصرها وإنَّما بيان بعضها علها تكون سبباً في الرجوع إلى النهج القويم إن شاء الله تعالى.

التكفير

إنَّنا في زمان كثر فيه الكلام عن التكفير واللعن والتخليد في النار ، لذا يجب علينا أن نُصغي إلى كلمة الحق فننزل النَّاس منازلهم التي أنزلهم إياها الشرع بلا غلو ولا تقصير . وإن تكفير المسلم يجب أن يكون بضوابط شرعية وفقه وتثبت ، ولا يكون ذلك إلا للعلماء الراسخين في العلم والقضاة فهم الذين يحكمون علي زيد من الناس بأنه كافر لمعرفتهم بالأدلة والموانع في هذه المسألة ، فلا يجوز تكفير المسلم بمجرد وقوعه في خطأ أو معصية من الكبائر مالم يستحل ذلك ، لذا تأتي مسألة التكفير في طليعة ما يعاني منه الشباب اليوم من عدم وضوح الرؤية وسلامة النظرة ، وهنا لا بد من وضع الأمر في نصابه وتجليته أمام الباحثين عن الحقيقة ، ولأهمية هذا الموضوع لا بد من بيان أسباب شيوع ظاهرة التكفير ثم بيان ضوابطه عند أهل السنة والجماعة.

أ/ أسباب التكفير:

1/ تصدر سفهاء الأحلام لأمور الدعوة إلى الله بلا فقه ولا تجربة ولا رجوع إلى العلماء أهل الفقه والتجربة.

2/ التسرع في إصدار الأحكام والمواقف لمجرد الشائعات أو القرائن والظنون واللوازم.

3/ الخطأ والجهل في منهج الاستدلال كالاستدلال بالنصوص على غير ما تدل عليه والجهل بفهم السلف وتفسيرهم للأدلة.

4/ عدم اعتبار قواعد المصالح والمفاسد التي ينضبط بها إيمان الأمة وأمنها وأمانها.

5/ أخذ العلم عن غير العلماء وتلقيه عن صغار المثقفين الذين لا يخرجون من فصيلة العوام.

6/ سرعة الاستجابة للفتن والتصرفات الغوغائية والتهييج عند كل صيحة دون الرجوع إلى أهل العلم والفقه والرأي.

7/ الإخلال بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبه أو سلوك منهج أهل الأهواء كالخوارج والمعتزلة وغيرهم.

8/ ضعف الحكمة وقلة التجارب مما يجعل البعض يقعون في أخطاء وقع فيها السابقون من أمثالهم فلم يستفيدوا من العبر والدروس ، والسعيد من وُعظ بغيره.

ب/ ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة:

احتاط الشرع في اطلاق لفظ الكفر على المسلم احتياطاً شديداً ، وأوجب التثبت في ذلك حتى لا يُتهم مسلم بكفر ولا يُؤخذ بريء بجرم لم يرتكبه ، وحتى لا تُستباح أموال النَّاس وأعراضهم ودماءهم بمجرد الظن والهوى ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} النساء (94) ،.

وقد شدد السلف في مسألة التكفير وحذروا من الحكم على شخص بالكفر إلا وفقاً لضوابط صارمة وقيود دقيقة ، وذلك لما يترتب على التكفير من آثار ، وما يلحق من يُوصم بالكفر من أحكام في الدنيا قبل الآخرة ، ولما ورد من التحذير من تكفير المسلم في العديد من الأحاديث النبوية ، مثل قوله (ﷺ) : " أيما أمرئ قال لأخيه يا كافر ففقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه".

ولذلك وضع السلف قواعد وضوابط التزموا بها وراعوها حين الحكم على الناس في مسائل الإيمان والكفر ، ومن تلك الضوابط ما يلي:

قاعدة عدم تكفير المعين:

من القواعد التي قررها أهلُ السنة والجماعة التفريق في أمر التكفير بين تكفير شخص معين والتكفير على وجه الإطلاق ، فالنصوص الواردة بالتكفير لمن عمل أعمالاً معينة مطلقة ، قد لا ينطبق حكمها على شخص بعينه لعدم قيام الشروط اللازمة لتحقق الكفر ، أو انتقاء الموانع والمتمثلة في الآتي:

1/ الجهل ، جهل الحكم بذلك ، كحديث عهد بالإسلام ، أو من كان يعيش في بادية أو مكان منعزل لا يبلغه العلم ، أو كان في بلاد شرك وليس لديه من يبلغه العلم .

2/ الخطأ ، كأن يعمل عملاً مما يخرج به الإنسان من الملة ظناً منه جواز ذلك ، أو أنكر شيئاً من أمور الدين ظناً منه أن هذا ليس من الدين .

3/ التأويل ، وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل ، وهو قسمان : قسم

يعذر صاحبه ، وهو ما كان مبنياً على شبهة ، بان كان له وجه من لغة العرب ، وخلصت نية صاحبه ، كمن تأول في صفات الله تعالى ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد في موقفة ممن قال بخلق القرآن : "فالإمام أحمد ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا وأخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك"، والقسم الثاني : تأويل لا يعذر أصحابه ، كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن كان حقيقة أمرهم تكذيب الدين جملة وتفصيلاً .

لذلك أطلقوا القول بتكفير من تلبس بالكفر ، فيُقال : من قال كذا، أو فعل كذا ، فهو كافر ، ولكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل ، لا يُحكم بكفره إطلاقاً حتى تجتمع فيه الشروط ، وتنتفي الموانع ، وتقوم عليه الحجة.

ويتلخص مذهب أهل السنة في أنَّهم يطلقون التكفير على العموم ، ولكن تحقق تكفير المعين لا بد له من توفر شروط ، وانتفاء موانع وذلك بأن لا يكون جاهلاً ، ولا متأولاً، ولا مخطئاً ، ولا مكرهاً ، ولا مقلداً ، ولذلك وضعوا قواعد يُعذر الإنسان إذا تلبس بها تتمثل في الجهل ، والتأويل ، والإكراه ، والخطأ ، والتقليد.

قاعدة العذر بالجهل:

والعذر بالجهل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، والأشخاص، قال الدكتور أحمد عرفات : " من الأصول الإنسانية عند الإمام محمد عبده ، مناداته بالبعد عن التكفير كأصل من أصول الأحكام عند المسلمين ،وذلك أنَّه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر ، لأنَّ هذا الأصل يفتح الأبواب واسعةً لتجنب الأحكام الطائشة على أصحاب الأقوال التي تنطوي على شبهات.

التدمير و التفجير

الدين الإسلامي هو دين إعمار وبناء وليس دين تفجير وتدمير ، لأنَّ التفجير والتدمير يؤديان إلى إزهاق الأرواح وإتلاف الممتلكات ، والإسلام لا يقر ذلك ولا ينادي به ، وقد ذكر أهل العلم أنَّ الأحكام الشرعية تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة وهي (الدين ، النفس ، العرض ، العقل والمال)

، والله تعالى قد حفظ للناس هذه الضروريات بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام أو الخاص ، قال تعالى { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } المائدة ، 32.

وقوله تعالى : { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} المائدة ، 33.

وجاء في فتاوي الأئمة في النوازل المدلهمة بعد سرد هذه الآيات : " وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان وردع كل من تسول له نفسه الاجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم ،

قال ابن كثير رحمه الله تعالي : " ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الاصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك.

الفصل الرابع

الخطاب العربي الواقع والتحديات

يتغير الخطاب من نسق ثقافى إلى آخر حسب الاستخدام: ولأن الثقافة تنهض ويستقيم صرحها كلما أفلحت فى إنتاج معرفة خصبة وجديدة تواجهها اصطلاحات واضحة الدلالة ، ومن المؤكد أن ثقافة أى أمة من الأمم تضمر وتتلاشى لأسباب كثيرة منها: اضطراب دلالة المصطلح ، وتعارض المفاهيم ، وشيوع الغموض ، والقلق فى التراسل العلمى بين مصادر المعرفة وجهات التلقى ، الأمر الذى يعرض تراكم المعرفة ذاته إلى كثير من الصعاب.

كما أن عدم استقرار المفاهيم يقوده إلى اضطراب ليس فى الوصف والتحليل والاستقرار فقط ، إنما فى الاستنباط واستخراج النتائج التى يهدف الوصول إليها كل بحث". ويتضح ذلك فى الاستخدامات المتعددة (لمصطلح ما) ، بحيث تعطى (دلالة) فى حقل معرفة معين تختلف عنها فى حقول المعرفة الأخرى ، ونجد أن مصطلح الخطاب شأنه شأن المصطلحات التى تكونت حولها ضبابية تعريضية ، بحيث أن التعريف الذى قدمه أحد الباحثين أو اللغويين يختلف عن التعاريف التى قدمها باحثون آخرون.

لذا ظل الخطاب كمفهوم يقبل التأويل فى حقول المعرفة الأخرى دون وضع إطار تعريفى محدد له بما يؤدى إلى تحديد خصائصه وسماته ، وعلى نحو ينطبق عليه التعريف فى حقول المعرفة المختلفة التى تستعين بمفهوم الخطاب ، إذا علمنا أن كثيرا من الخطابات تخضع للمعارف التى تستخدم فيها ، كالخطاب السياسى ، والخطاب الإعلامى ، والخطاب الدينى والخطاب الآدبى والخطاب الفلسفى وأن الخلط والغموض والارتباك الذى طال مصطلح

الخطاب السياسى:

إن الخطاب السياسى هو الخطاب الأشهر والأهم فى الواقع العربى الآن ومع قدم الخطاب السياسى فإن البعض يرجعه إلى "أفلاطون" وحواراته أو "قبل ذلك" أو بعده ، ولكن الخطاب السياسى بشكل عام ظهر مع ظهور وتشكل الدولة ، فالمتابع للتاريخ الفرعونى يرى أنها كانت مهنة ومهنة راقية ولا يعتلى منصة الخطابة أو كتابة الخطاب إلا ذو معرفة وعلم وبذلك أوصى "سنب حتب" أبنه قائلا "أعد نفسك لتكون كاتبا وحاملا قلم المعرفة ــ إنها أشرف مهنة وأجدر وظيفة تليق بك وترفع من شأنك وتقربك من الألهة ــ وإن ما يخطه قلمك سيعيش أبد الدهر ويكون أكثر خلودا مما ينقشه الآخرون على الحجر الصلب لأنه سيعيش فى قلوب الناس ورؤوسهم فلا تمتد إليه يد العبث أو التخريب".

وهنا تأكيد على تشكيل الوعى لأنه سيعيش فى قلوب الناس ورؤوسهم. فمع بناء الدولة كان لابد أن يصاحب ذلك خطاب سياسى يجمع الأفراد تحت مظلة واحدة وتحديد أهداف الجماعة والحث على تحقيق هذه الأهداف ، ودائما كانت مفردات الخطاب السياسى تشمل المواطنين والحكام وتحديد العلاقة بينهما وذلك من أجل تقاسم السلطة والثروة.

ومع تطور الدولة وتعقد علاقاتها انعكس ذلك على الخطاب فأصبح أكثر تعقيدا واختلاقا ، ومع تعقد وتطور النظرية الاقتصادية واختلاف وسائل وعوامل وقوى الإنتاج فى المجتمعات وكيفية استغلال الثروات والحفاظ على هيبة الدولة ودورها فى التقدم والتطور الاقتصادى والتكنولوجى ظهرت الأيديولوجيات التى تنتمى إلى طبقة والدفاع عنها نتيجة تقسيم المجتمع إلى طبقات (حاكمة ــ عاملة ــ منتجة ــ رأسمالية .. الخ)

واعتمدت كل طبقة على مجموعة من المثقفين للتعبير عنها وعن قضاياها وآمالها وطموحها من خلال (خطاب أيديولوجى) (سياسى/اقتصادى) من أجل السيطرة على الحكم والثروة ، وهذا هو طبيعة الخطاب السياسى منذ نشأته إلى الآن مع اختلاف مفرداته ولغته ووسائله وقضاياه وطبقته ودائما هناك خطاب السلطة وخطابات المعارضة ، وأيضا ليس من الضرورى أن يكون خطاب "السلطة أو المعارضة" هو الأقوى ، ولكن خصائص الخطاب (من لغة ــ وترتيب أفكار ــ ومناقشة قضاياها ..) هى التى ترجح خطاب على الآخر. وهذه الخطابات لابد من ربطها بصور الصراع الطبقى كما تمظهرت فى التاريخ مبرزا أدوار الوعى فى تزييف وقائع التناقض والصراع داخل المجتمع".

وكان الخطاب السياسى (الأيديولوجى) حاضرا فى كل مراحل الصراع "فكان يلهب حماس الجموع ويصنع الأحداث ، حيث أصبحت الأيديولوجيات تفعل فعل الحوائج فى التاريخ"(1). والخطاب السياسى فى أغلب الأحيان خطاب تاريخى سواء استخدام التاريخ كمادة خطابية ، أو أن الخطاب ذاته جزء من التاريخ وبالتالى فإن أشكالية الخطاب التاريخى هى نفسها أشكالية الخطاب السياسى "يحمل وعيا تاريخيا أيديولوجيا وآحاديا للمسار التاريخى ، من سماته الدمج بين الذاكرة الجماعية والتاريخ الحاضر".

والخطاب السياسى التاريخى العربى غالبا تتقاسمه اتجاهين كبيرين من المرجعية والأيديولوجيا وهما اللذان يحددان ملامح الخطاب العربى السياسى المعاصر "فالتيارات الفكرية التى نشأت فى العصر الحديث فى مصر وغيرها من بلدان العالم العربى والإسلامى ، هى تيارات تقسمها مقولتا "الأصالة والمعاصرة". وهو التيار الإسلامى من جهة ، والتيارات العلمانية من جهة أخرى"

أنواع الخطاب السياسى:

أما ما يحدث الأن من انفلات ثقافى ، وانفجار لعشرات الخطابات على الساحة السياسية الآن فإننا يمكن أن نختصرها فى ثلاث خطابات رئيسية:

- الخطاب السياسى الشعبى: الجماهيرى (الشعبوى):

وهذا الخطاب يشترك فى أجزاء كثيرة منه مع الخطاب الشعبى العام وهو يتميز بالعمومية واللاعقلانية وعدم الاعتماد على مصادر موثوق فيها وإنما يعتمد على النقل والنقل دائما يرتبط بالأهواء وغالبا ما يهتم بالقضايا الحياتية اليومية التى تعنى الشعب مثل التعليم الصحة والتموين وغيرها.. وفى النظام الديمقراطى غالبا تكون الأغلبية موافقة على السياسة المدنية وعلى حسب أداء الحكومة تكون نسبة المعارضة حتى من الجماهير والتى تنعكس أيضا فى تكوين وتصعيد النخب السياسية فيما بعد.

- الخطاب النخبوى أو السياسى الفكرى:

ويقوده مجموعة من المنشغلين بالعمل السياسى أو ما يطلق عليهم رجال السياسة ويكون الخطاب الخاص بينهم وسيطابين الشعب والسلطة ويقوم به نخبة من المثقفين المنتمين إلى تيارات ــ حركات ــ سياسية أصحاب أيديولوجيا معينة

ويكون بينهم اختلاف فى الرؤى ولكن بينهم صفات مشتركة فى أن خطابهم أعلى وأرقى من الخطاب الشعبى ويكون قادرا على صياغة قضاياهم فى مجموعة مصطلحات سياسية تعبر عن التيار المنتمى إليه بحيث يسهل استقطاب أعضاء إليهم وغالبا يكونوا فى هيئة أحزاب شرعية أو جماعات شرعية أو غير شرعية أو أى هيئة حركية ويكون طبيعة عملهم هو الجانب التنفيذى للخطاب الثالث وهو الخطاب الفكرى ومن أمثال هؤلاء رفعت السعيد ونبيل زكى والسيد البدوى وأيمن نور وحمدين الصباحى وكثيرا ممن على مستواهم. ويكون قضاياهم غالبا من قضايا الحزب والشعب فيشغلهم الديمقراطية وتداول السلطة والتكافؤ الفرص والاهتمام بطبقات الشعب وحسب وعددهم ، والمعارضة فى هذا الخطاب تقدمه الشعبية وتتحدث باسمهم وغالبا يحسن الصراع بين هذه المسائل أساليب اقناع الجماهير لتأييدهم.

- الخطاب الفكرى السياسى (الخطاب التنظيرى):

يقوده مجموعة من المثقفين غير المنتمين إلى أحزاب حركية ولكن انتمائهم يكون انتماء فكرياً إلى تيار فكرى مثل مفكر اشتراكى أو ليبرالى أو دينى وقضاياه أعلى من الواقع وأرقى من الواقع وغالبا يكون خطاب مستقبلى

ومتطور يبحث فى قضايا فلسفية مرتبطة بحياة الإنسان وعلاقاته العليا وغيرها من خلال مرجعيته الفكرية التى لها مصطلحاتها الخاصة بالمرجعية الفكرية التى يفكر من خلالها ويكون طبيعة عمله طبيعة تنظيرية استعلائية فوق الواقع وفوق الخلافات على السلطة ويكون فى أغلبه خطاب فضفاض يسمح بالاختلاف داخله من أجل التطور وليس من أجل الجمود والتناحر وهم غالبا مشعلى الثورات وحماة الشرعية وأى ثورة تقوم بدون مفكرين ومنظرين لا تنجح إلا عندما يتطوع بعض المثقفين لتبنى قضايهم وبلورتهم فى منظومة فكرية تضع ملامح مستقبلية للعمل مع عدم المشاركة فى العمل السياسى لأنهم أرقى من ذلك ومن أمثال ذلك وحيد عبدالمجيد ومحمود أمين العالم والسيد ياسين ، محمد عماره وغيرهم. ومن أمثال القضايا موضع اهتماهم "الحرية ــ العدالة ــ المساواة" بالإضافة إلى القضايا العامة الصراعية وهنا تختفى المعارضة وتتغير اسمها إلى فرق وتيارات ليست صراعية فقط فهى خلافية فبينهم خلاف وليس صراع.

ولكن تكون الكارثة عندما يتخلى كل فصيل عن موقعه من أجل مكاسب الفصيل الأخر فمثلا حدثت الكارثة قديما عندما طمع منظرى النظام السابق فى العمل السياسى أمثال فتحى سرور وعلى الدين هلال ومفيد شهاب وغيرهم وغالبا ما تكون نهايتهم مثل النهاية التى هم فيها الآن.

والكارثة الأكبر عندما يتخلى السياسيون عن مصطلاحاتهم نهائيا ويتبنون نفس المصطلحات والقضايا من أجل إرضاء الشعب لمصلحة سياسية دون مصلحة الدولة العليا وهنا يختفى الخطاب الثانى ويتسع الهوة بين المفكرين والشعب ويحدث الانعزال ولا يستمع إلى العقل ولا أحد يقبل المنطق ويحدث حوار الطرشان إلى أن يستيقظ ضمير السياسيين ويعودوا إلى ممارسة دورهم بأمانة ولا يحدث ذلك إلا فى وجود خطر حقيقى يقضى على الجميع وعليهم أيضا.

2- أساليب تحليل الخطاب السياسى:

وقد انشغلت مراكز الأبحاث السياسية بتحليل خطابات الزعماء والتيارات السياسية لمعرفة الأهداف الخفية بين ثنايات الخطاب (النوايا) والأهداف المعلنة السياسية واستخدام الباحثين أكثر من منهج وأسلوب لتحليل الخطاب السياسى ابتداء المنهج التاريخى وأيضا الجمع بين المنهج التاريخى وتحليل المضمون ، وذلك على اعتبار أن "تحليل المضمون أداة من أدوات البحث ، التى يمكن ــ تطبيقها على وسائل الاتصال الجمعى ــ للحصول على بيانات بالغة الثراء"

وأسلوب تحليل المضمون يكون مثمر فى حالة درا سة الكتب والجرائد والوثائق ، ولكن أعتمد بعض الباحثين "على منهجية" "تحليل الخطاب" التى أزاحت من الميدان أسلوب تحليل المضمون العتيق ، والذى كان يركز على دراسة المحتوى الظاهر للاتصال ، وذلك حسب التعريف الكلاسيكى "ليبرسون" وهو أحد الثقات فى الموضوع. لأن دراسة المحتوى الظاهر لا تسمح بالتعمق فيما سكت عنه الخطاب ، وما لم يفكر فيه الخطاب ، والتناص بين نصوص الخطاب ذاته ، أى أنواع التفاعلات المختلفة بين مقولاته ، وهذه كلها من المبادئ الأساسية فى تحليل الخطاب".

وغالبا فإن آليات وأساليب تحليل الخطاب السياسى لا تختلف كثيرا عن تحليل الخطاب التربوى والسياسية التربوية بشكل عام حيث "ترتبط السياسة ، فى الحقل التربوى كما فى أى حقل آخر ، بالسلطة فالسياسة التربوية تترجم بقوانين ومراسيم وأنظمة وبرامج وتعليمات"[(2)] تطبيق فى نفس المجال لتحقيق الأهداف السياسية العامة.

ومما سبق أن الخطاب السياسى هو الخطاب الذى يحمل بين طياته أيديولوجيا معينة ، ذات مفردات سياسية ، يهدف التأثير على وعى المتلقى ، لتثبيت مفاهيم سياسية بعينها فى ذهنيته ، والاستحواذ على انحيازه وضمان تأييده لحسم الصراع السياسى لصالحه.

الخطاب التربوى:

توصف التربية بأنها نظام واسع لا يستغنى عن التخطيط فى كله وجزئه ، وهى جزء من نظام أكبر يشمل فلسفة المجتمع وموارده وتاريخه وثقافته ومقدراته وإمكانياته ، و أهدافه هى الأهداف العليا للمجتمع ولكن بشكل أكثر تحليلا للعناصر ودراسة لها ومضاهاتها بالميدان العملى الواقعى ، وتحديد الاستراتيجيات الملائمة لتحقيق الأهداف فى ضوء الوسائل المتاحة والخطط الممكنة والأساليب المدروسة بالتحليل والتجريب والإقناع. والتربية عموما هى الميدان العملى لتحقيق أهداف المجتمع وغاياته الفلسفية ، وتعنى أيضا تنمية أفقية نوعية شاملة دراسية بنائية استمرارية لكل فرد فى المجتمع ، وللمجتمع كنظام واحد. وكثيرا ما توصف أساليب التربية بنوعين من التحديد هما ما أشتهر بالتربية المقصودة وغير المقصودة ، وللنظر فى ماهية التربية المقصودة يمكن القول أنها جميع الأساليب المعتمدة والمنظمة وفق تخطيط معين وغايات مستهدفة ، ومن أشكالها التعليم النظامى ، وتحدد أغراض التعليم ومتطلباته وفق استراتيجية علمية توجه إلى إحدى الخطط وأنفع أساليب التطبيق.

أما التربية غير المقصودة فيمكن وصفها بأنها المؤشرات المتنوعة والواردة من اتجاهات متعددة نحو الإنسان من مصادر لم تحدد غرضا لها ، أو حددته وعاملته بطرق لا تتناسب مع مقاصدها تناسبا سليما ، والنتيجة ردود فعل وأنواع من التفاعل غير ما أرادته مصادر المؤثرات. وهذا بالطبع معناه أن لا إحكام فى رسم الأهداف ووضع الاستراتيجيات والخطط والتنفيذ والتقويم. فالمناظر التى تصادف الإنسان فى الطريق والخطابات التى يسمعها أو يقرؤها دون قصد ، والأحداث التى يواجهها كل ذلك وسواه مما يتعرض له الإنسان ويتفاعل معه بشكل عفوى ويتأثر به تأثيرا متفاوتا بحسب قوة تلك المؤثرات واستعداده الذاتى لها وعوامل عديدة يتوقف عليها نوع الأثر وعمقه. فى حين التربويون يعتبرها كل من يعمل على تحديد عناصر هذا الخطاب التربوى وتنفيذه أو كل من يشارك مشاركة واعية مدركة فى إقامة هيكله.

أما التعليم فهو تغيير فى السلوك أو تعديله أو إكساب الخبرة الهادفة أو غير ذلك مما لا يغير من كونه الوسيلة التنفيذية للتربية ، إذا كان يرمى إلى تحقيق أهدافها ، إذن فالغاية القصوى من التعليم هى تحقيق أهداف تربوية ، إما أهدافه القريبة فهى أهداف مرحلية لخطط محددة ببداية ونهاية لكل منها ،

وداخل هذا الإطار توجد أدوات التنفيذ واساليبه والقائمون عليه والمستهدف هو التعليم. وعلى العموم فالتعامل بالتعريفات المعتادة يبسط الأمور ويجعل من الممكن التفاهم على أمور علمية وذات صفة محددة. ومن أجل بناء خطاب تربوى على أسس علمية سليمة كان لابد من التخطيط له سواء على المدى القريب أم البعيد ، وهذا يعنى وضع استراتيجية تربوية يتوافر فيها الشمول والتكامل والمرونة. وهذه الاستراتيجية فى مراتب ترتيب الأمور تقع وسطا بين السياسة والخطة ، وتعنى بالمسارات الرئيسية للعمل وتلتمس سنده من الفكر وتراعى فيه الواقع لتحركه نحو أهداف المستقبل وتكون قابلة للتفصيل بالخطط والبرامج. ويتألف إطارها العام من دراسة مجملة للمجتمع فى تاريخه الطويل وفى ضوء أحواله الحاضرة وتطلعاته نحو المستقبل. ولا يكفى وضع سياسة تربوية لتجديد التربية بذاتها وإنما الأمر يتعداها إلى التحديد الشامل للتربية فى نطاق التنمية الشاملة ، مؤكدا بذلك على صلة الخطاب التربوى بالأنظمة الأخرى فى مجتمعه وتفاعله معا وتأثرها بها وتأثيرها فيه باستمرار.

ويسعى الخطاب التربوى أيضا إلى الاعتماد على الإنسان محورا وأداة وغاية وينطلق فى مجالات التربية والتنمية الشاملة على السواء. فالخطاب التربوى يعبر عن السياسة التربوية للمجتمع مؤكدا على اهتمامات المنظومة التربوية من بداية السياسة التربوية والتى تنتج عن رؤية فلسفية تربوية تكون واضحة المعالم. فأهمها المبدأ الإنسانى الذى يحقق مكانة الإنسان وحقوقه الأصيلة وقدرته على التعلم ومسئوليته على أداء واجباته الوطنية ، كذلك المبدأ التنموى الذى يؤكد على التنمية واعتبار الإنسان محورها وأداتها وغايتها على السواء.

مع الأخذ بمفهوم التربية للعلم منهجا ومحتوى وفكرا وتطبيقا. والتواصل مع مبدأ التربية للعمل والحياة الذى يؤكد صلة العمل بالفكر وأهميته القصوى فى حياة الإنسان وفى تقدم المجتمعات بالاعتماد على الخبرات الإنسانية وتجليلها فى الأنماط السلوكية وعلى إغنائها لحياة الإنسان وحياة المجتمع ، كذلك مبدأ التربية المتكاملة المستدامة المستندة إلى قدرات الإنسان على التعلم وعلى تطوير شخصيته باستمرار من دون قيود المكان والزمان ، مع الحفاظ على الأصالة والتجدد بما يتميزان به من الذاتية والابتكار والمواقف الحضارية ، أيضا مع التأكيد على مفهوم التربية الإنسانية الذى يؤكد على وحدة الجنس البشرى وعلى إسهام الفلسفة التربوية فى تحقيق الإخاء والمساواة بين بنى الإنسان.

ويلاحظ أن هذه المبادئ والمفاهيم تتناول الإنسان والمجتمع والحضارة. وهى شاملة متكاملة مترابطة يتفاعل بعضها مع بعض وقد أريد بها أن تكون فى منزلة البذور التى تنمو بالتعهد لتؤلف أصولا لخطاب تربوى متميز يمتلك أدواته وآلياته من خلال فلسفة متميزة ومستندة على مبادئ الشمول والتكامل ، والتفاعل بين التربية والمجتمع ، واستعدادها لتنمية الشخصية ، وأستيعاب الثورة العلمية ، وتنمية الفكر التربوى الوطنى ، وتنمية البحث العلمى لتحقيق الكفاية والأصالة والتجديد ، واعتماد التخطيط وتحديث الإدارة التربوية. من خلال الانفتاح على الحضارة المعاصرة بجوانبها السليمة والاستفادة من تجارب الشعوب وخبراتها ، ومن الفكر التربوى الحديث ، مع الأخذ بمبدأ التربية المتكاملة المستديمة وجعلها سبيلا لتكوين المجتمع المتعلم.

وقد أثبتت التجربة الإنسانية أن عملية التربية والتعليم ، إنما تتطور وتزدهر إذا ما توفرت لها الأرضية الصالحة ، التى ترتكز على إتاحة الحرية المناسبة للمتعلمين ، وتبادل الأفكار ومناقشة الآراء ونشر ثقافة الحوار والنقد ، وبالتالى خلق القابلية لدى المتعلمين لتقييم الأفكار وتمييز الأراء عن وعى سليم وعلى أسس صحيحة.

وتنحدر هذه العمليةإلى أدنى مستوياتها فى ظل الارهاب الفكرى والاستبداد السياسى وثقافة التلقين وتجميد العقول ، التى عادة تمارسها الأنظمة الدكتاتورية ، وهذا ما تحقق بأجلى صورة فى واقع مجتمعنا العربى خلال العقود الثلاثة المنصرمة حيث تدنى المستوى العلمى فى تلك الحقبة إلى حد خطير ، الأمر الذى انعكس سلبا على رؤية أبناء المجتمع العربى لقضية التعليم والفوائد المترتبة عليها.

1- مفهوم الخطاب التربوى:

الخطاب التربوى خطابا يحمل ملامح الخطاب العادى فى جميع المجالات وما يكون الخطاب السياسى والعلمى والدينى يكون الخطاب التربوى فالخطاب التربوى لابد أن يكون له فلسفة تربوية كمرجعية يستخدمها الراسل لمضمون رسالة يوجهها نحو المتلقى بغرض التأثير فيه وإعادة تشكيل عقله. فالخطاب التربوى "هو اللغة المعبرة عن جملة التصورات والمفهومات والاقتراحات حول الواقع التربوى ، وصفا ، وتحليلا ، ونقدا ، واستشرافا لمستقبله أو حول علاقة الوجود بين التربية ومجتمعها ، وهو بذلك تعبير عن أيديولوجية منتج "الخطاب" فى لحظته التاريخية". وغالبا فإن هناك خطاب واحد فقط معبر عن خطاب السلطة ـــ المؤسسة الحاكمة ـــ

ويسمى هذا الخطاب الرسمى ــ خطاب التربية المقصودة الرسمية ــ ولكن هناك خطابات أخرى غير رسمية تحمل أيديولوجيات مختلفة و قد تكون فى مجتمع واحد ، ولكن لاختلاف المنطلقات والأهداف اختلفت الأساليب والآليات وبالتالى اختلف شكل ومضمون الخطاب التربوى بين أولوياته ومكوناته. فقد نرى كل حزب له خطاب تربوى مختلف وكل جماعة تربوية لها خطاب مختلف وهذا ما يسمى خطابات غير رسمية بالإضافة إلى خطابات التربية غير المقصودة المتمثلة فى التربية الإعلامية والأسرية. وفى هذه الحالة تختلف وسيلة الخطاب ذاته بين خطاب فى كتاب أو من خلال ممارسة عملية تحمل خطابا تربويا ضمنيا أو جريدة .. الخ.

وقد تتفق هذه الخطابات فى أجزاء كبيرة من مساحة الخطاب الرسمى ، "فهناك خطابات تربوية أكاديمية يمكن تسميتها ببحوث "المناطق الآمنة" حيث الموضوع غير خلافى ــ بشكل أو بأخر ــ ويركز جل اهمامه وجهده على الصرامة المنهجية التى قد تغرق صاحبها فى تسيد آليات البحث الاجتماعى. وتأتى محصلة مثل هذه الخطابات ــ غالبا ــ غير محددة الهوية. وبالتالى ، لا تقدم ــ من خلال مستخلصاتها ورؤيتها النهائية ــ قيمة حقيقة تضاف للمعرفة التربوية"

ومن هنا فالخطاب قد يعبر عن أيديولوجية الكاتب فإنه يصبغ الخطاب فى عبارات وجمل تكون خطابا خاصا بالمرجعية الفكرية التى ينتمى إليها ويتعدى هذا الخطاب الفكرى إلى خطاب تربوى حين يشكل فى مضمونه فلسفة تربوية متكاملة تجيب على أسئلة التربية بشكل عام ، وهنا يبدأ الوجه الثانى للمعنى وهو تحول الخطاب الفكرى إلى خطاب تربوى متجاوزا معنى الكلام إلى "نصا مرسلا من الكاتب إلى القارئ ، أو بمعنى أخر وجهة نظر تربوية معينة مصاغة فى بناء استدلالى ، بمعنى أنها تتضمن مقدمات تفضى إلى نتائج تربوية .

وفى هذا الخطاب يختار صاحبه أشياء تربوية بعينها ويهمل أشياء أخرى ، ومن ثم فإن هذا البناء (الخطاب التربوى) يرتبط بقدرة كاتبه على التعبير عن وجهة نظره ، وهذا متأت من حقيقة أن الكلمة فى سياق الكتابات التربوية ، ارتبطت بعلاقة قوية مع مصطلحات تربوية أخرى مثل فلسفة التربية ، وأصول التربية ، وتاريخ التربية وغيرها من مفاهيم ذات مرجعية تربوية"

ويؤكد "ديان مكدونيل" على أن أى خطاب سواء خطاب فكرى أو خطاب تربوى فإنه يكون مؤدلج "أن أى خطاب إنما يهتم ببعض الأمور ويدفع بأفكار بعينها على حساب غيرها"

2- قضايا الخطاب التربوى

وإذا كانت الخطابات التربوية تختلف فى التشخيص والتحليل والتركيب والأولويات البحثية إلا أنها اتفقت فى بعض القضايا التربوية الهامة التى تشكل عقل ووجدان المتلقى ومن هذه القضايا:

- ضرورة وجود فلسفة تربوية:

أن أزمة الخطاب العربى ، هى أزمة الفلسفة العربية بشكل عام التى تقع بين الأصالة والمعاصرة والماضى والحاضر ، فالفلسفة العربية ليس لها منطلقات متفق عليها ، ولا أهداف محددة لتحقيقها. مما أوقع التربية العربية فى نفس الأزمة. فبين الأساليب التربوية التقليدية والأساليب التربوية الحديثة ، وقعت التربية فى مأزق عدم التأصيل سواء للحداثة أو الماضوية على السواء ، فكليهما تجاهل الواقع واستخدم أساليب غير متوافقة معه ، فكانت أزمة الفلسفة التربوية أزمة مزدوجة ــ سببا ونتيجة.

فى نفس الوقت حيث أن التربية تعمل على إعادة إنتاج القيم سواء عن وعى أو عدم وعى منها ، ولذا حدد "عبدالله عبدالدايم" مجموعة منطلقات ينبغى أن تنطلق منها الفلسفة التربوية العربية وهى:

1- الفلسفة التربوية لا يحددها البحث النظرى بل الواقع المعاش.

2- غايات التربية ليست ثابتة ونهائية.

3- الطابع "الإجرائى" للغايات التربوية.

ويقترح "حامد عمار" إننا يجب أن "ننطلق من الواقع لتحقيق مستقبل أفضل يحققه مزيدا من القدرة الذاتية لمجتمعنا على التعامل الحتمى فى عالم اليوم والغد مع الثقافات الأجنبية ، على أساس الحوار والندية لا على أساس الانغلاق أو الاستسلام ، وبذلك تصبح هويتنا رهنا بما نصنع نحن ، وبما نفعل نحن ، وسوف تغدو بذلك الإطار الذى تبنى من خلاله الإنسان العربى لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل"

- تنمية روح النقد والإبداع:

إن الإبداع هدف غائى كبير تخدمه أهداف جزئية أو مرحلية أو وسيلة أداتية ، تعمل لتنمية ذكاء وظيفى ، وتفكير نقدى ، وإثراء خيال ابتكارى وإتقان تعلم ذاتى يأخذ بالاستكشاف والتجريب والتأصيل والتجديد. لذا فالخطاب التربوى العربى المعاصر يجب أن أولى الإبداع والتفكير النقدى أهمية قصوى

وأن اختلفت آليات ومنطلقات تربيته داخل الفكر العربى. والواقع أن الإبداع سواء فى الثقافة أو فى التربية قضية جدلية ، بعضهم يحصره فى القدرة على تجاوز ا لواقع ، ولا ضير فى ذلك ، على ألا يكون التجاوز مجرد مغايرة ، فالتجاوز أن لم يكن ارتفاعا فى المستوى ، وتحسنا فى النوع ، وتقدما للأمام ، لم يكن لهذا التجاوز أى تمايز ، بل على العكس قد يكون انتكاسا بالواقع ، و قد نرى عند آخرين فعلا إبداعيا يقاوم باسم الأصالة كل ما يغير الواقع ، حيث تستحدث حيل وآليات تبتلع كل تجديد والإبداع فى هذا الجانب أو ذاك مسيس يمشى مع توجهات السلطة ، ويتشرب بأيدلوجية الحكم".

ويذكر "طارق حجى" أن النقد من أهم أحجار الزاوية لنجاح وازدهار أى مناخ تعليمى وثقافى ، وهذا ما أتفق عليه الغرب والشرق عندما قال "كانط" أن النقد هو أهم أداة بناء طورها العقل الإنسانى ، وأيضا عندما قال "عمر بن الخطاب" "رحم الله من أهدى إلى عيوبى"

- أشكالية المعرفة:

أهتم الخطاب التربوى العربى بالمعرفة كأحد أهم محددات تكوين العقل العربى ، لذا ربط الخطاب التربوى العربى أزمة العقل العربى بأزمة المعرفة ، وقد رصد "سعيد إسماعيل على" مظاهر الأزمة فى:

1- تيه الهوية.

2- الاستغراق فى "الفنيات".

3- غياب النقد التربوى.

4- التقوقع التربوى.

5- التشرذم على مستوى الأشخاص أنفسهم (علماء التربية وأساتذتها).

6- القطرية بين الدول العربية والتخلى عن الوحدة (الجسور التى تهدمت).

7- تشوهات التكوين.

8- الانقطاع المعرفى عن الينابيع.

وإذا كان الخطاب التربوى العربى ركز فى معظمه على الأزمة فإنه لم يوضح بشكل قاطع الحلول الجذرية للأزمة المعرفية فى العالم العربى سواء كانت هذه الأزمة أزمة معرفة عامة أو معرفة تربوية ، ولكن قد يكون هناك اتفاق على المنطلقات الأساسية للمعرفة التربوية والتى تحدد فى:

أولا: من حيث معنى ومصدر المعرفة: (المعرفة مسألة اجتماعية وتاريخية).

ثانيا: من حيث نظم ومجالات المعرفة: (المعرفة ليست عملا فرديا منعزلا وإنما هى نتاج اجتاعى ، وعمل جماعى).

ثالثا: من حيث توزيع وتقويم المعرفة: (يتم توزيع المعرفة فى المؤسسات التربوية المختلفة ، تبعا للمكانة العالية ، أو المتدنية للمتعلم).

رابعا: من حيث موضوعية ونسبية المعرفة: (المعرفة كلها نسبية ، لأنها مجرد بنى اجتماعية وتاريخية).

خامسا: من حيث مفهوم التربية وأشكال المعرفة.

وإذا كان الخطاب التربوى العربى ركز على أزمة المعرفة ومنطلقاته إلا أنه لم يعطى عملية التفكير ذاتها المنتجة للمعرفة أهمية كبيرة فركز على عملية التفكير على أنها قضية علم نفس فقط ولكنه لم يهتم بها على أنها قضية تشكيل وعى وإعادة إنتاج ثقافة جديدة ثقافة علمية منطقية.

وإذا كان الخطاب التربوى أعطى إعادة تشكيل العقلية العربية أولوية ، لتكون مستعدة لإنتاج المعرفة المناسبة إلا أنه لم يهمل الوسيلة المناسبة لذلك وهى التربية فى الوقت الذى يعرف أن المعرفة أصبحت ضرورة وحقا للجميع ، و عندما "دخلت الإنسانية إلى "باراديم" معرفى وتبادلى جديد ، فى الوقت الذى كانت المعرفة محصورة فى دوائر الحكماء "والراسخين فى العلم" ومن خلال تداول "شفرات" أو أنظمة محكمة فى إطار ضيق ومحصور ، تحولت المعرفة ، منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى الآن إلى اعتبارها شأنا عموميا تعزز بفضل تنامى مطالب الحرية والمساواة والانفتاح على الآخر وحقوق الإنسان ، بما فيها الحق فى التربية والتعليم ، واكتساب المعرفة من خلال الكتاب والمدرسة والجامعة" وقد أزدادت أهمية أشكالية المعرفة فى الخطاب التربوى العربى ليس فقط على أن المعرفة إنتاج فكرى.

3- وسائل الخطاب التربوى:

الخطاب التربوى جزء من الخطاب العام ولكن أهم ما يميز الخطاب التربوى هو تعدد وسائله مما يميزه عن غيره ويجعله أكثر تأثيرا فى الأفراد ، لذا فإن معظم الحكومات تجعل هذه الوسائل تحت سيطرتها دائما.

وأهم وسائل الخطاب التربوى هى مؤسساته الرسمية وغير الرسمية والتى هى عادته وسائل النظم السياسية وآلياتها لضمان تشكيل وعى الأفراد سواء من خلال مؤسسات التربية الرسمية المتمثلة فى المدرسة والمعاهد والجامعات التى تكون معظمها تحت سيطرة النظام الحاكم حتى المدارس الخاصة لابد وأن تكون جزء كبير منها تحت سيطرة وتوجيه النظام السياسى الحاكم ، وظلت أيضا وسائل التربية غير الرسمية تحت سيطرة النظام الحاكم إلى أن خرجت عن السيطرة نتيجة التطور القصرى للأدوات الإعلامية والتى تصل إلى الأفراد غالبا بدون سيطرة النظام الحاكم ، ولكنها لم تفقد السيطرة تماما وإنما تعددت مصادر السيطرة على تشكيل العقول على حسب من الجهة المالكة للآلة الإعلامية ، وعلى هذا تختلف المادة المقدمة بحيث تخدم هذه الجهة.

ولكن يظل مجتمع أغلبيته تطمح إلى التعليم المجانى (الجامعى ــ قبل الجامعى) فإنه يظل التعليم المتمدرس هو المشكل الأساسى وذلك من خلال:

– التعليم:

تعددت آليات التربية العربية ، ولكن يظل التعليم هو المشكل الأساسى والرسمى للعمل من خلال وسائله المتعددة والمتفق عليها اجتماعيا وثقافيا. فالتعليم "هو أهم وسيلة لبناء الشعوب ومواجهة متغيرات وتحديات المستقبل ، كما أنه هو البداية الحقيقية للتقدم. وأن جميع الدول التى تقدمت جاء تقدمها ونهضتها من بوابة التعليم ، بل أن الدول المتقدمة نفسها تضع التعليم فى أولوية برامجها وسياستها ، والقضية هى كيف نصوغ العملية التعليمية شاملة التعليم العالى والجامعى لكى يكون المتعلم أو الدارس مواكبا لهذه التطورات وقادرا على التعامل مع كل هذه المتغيرات من خلال فلسفة متوازنة للتعليم"(3). وبالرغم من أولوية التعليم فى الخطاب التربوى العربى إلا أنه أكد على استقلاليته سواء عن المنظومة الأجنبية ــ العولمية ــ فى كل شئ ابتداء من التمويل إلى وضع المناهج والتقويم. وأكد الخطاب التربوى العربى على تجديد وتحديث جميع عوامل تشكيل المنظومة التعليمية ابتداء من الفلسفة التعليمية العربية مرورا بالمناهج والأهداف والمعلم والمدارس والإدارة .. الخ إلى السياسة التعليمية العربية المشتركة التى تعمل على توحيد الأمة العربية أكثر مما تفرقها "وذلك من منظور أن هناك علاقة وثيقة بين العملية التربوية وبين الثقافة ،

فحقيقة الوجود الاجتماعى لأى أمة يتبلور من خلال الثقافة التى تعتمد بدورها على التربية فى تجسيد وجودها الاجتماعى". بالإضافة إلى دور المؤسسات التعليمية العربية المشتركة التى تعمل على "التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربى عن طريق المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، ورفع المستوى الثقافى فى هذا الوطن حتى يقوم بواجبه فى متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الإيجابية فيها". فالخطاب التربوى ليس دائما تابعا ولكنه فى أحيانا كثيرة يكون معدل وموجه للأفكار والتوجهات التى تخدم المصلحة العامة للمجتمع.

وإذا كنا تكلمنا عن المؤسسة التربوية الرسمية فإن المدرسة مؤسسة تربوية رسمية لها عدة أدوار لها وزنها التاريخى ، وتتميز بوظائفها عن باقى المؤسسات الأخرى لأنها تعمل على تنمية الجوانب الإنسانية فى الإنسان وجعله يعرف ذاته أولا ثم يكتشف الأخر ثانيا. ويتكامل دور المدرسة فيما هو تربوى وتعليمى ثم إدارى ، وأمنى واجتماعى ، تكوينى وأيديولوجى ، إرشادى وتوجيهى ، ثقافى إشعاعى ، تواصلى اقتصادى أو تتجلى كذلك مهمة المدرسة فى التأثير على سلوك الأفراد تأثيرا منظما يرسمه لهما المجتمع ، ويمكن الاشارة إلى أبرز وظائف المدرسة وتتشكل فى الوظيفة التعليمية والتدريبية ثم الوظيفة التربوية ، ثم الوظيفة الأيديولوجية

وللمدرسة أدوار تسعى لتحقيقها لمؤسسة تربوية واجتماعية ومنها:

1- نقل التراث الثقافى.

2- التبسيط.

3- الانتقاد والاختيار وهى تعمل على مسئوليتين الأولى: العمل على نقل العناصر الطيبة فى تراث وما حققته الأجيال السابقة ، والثانية: استخدام العناصر الجيدة الملقاة لبناء مستقبل أفضل.

4- الاقتصاد الثقافى.

5- التماسك الاجتماعى وتذويب الفوارق بين الطبقات.

6- تنمية أنماط اجتماعية جديدة.

7- تنمية الإطار القومى.

8- الابتكار والخلق.

ومع التطور الإعلامى الفضائى والانفتاح على الثقافات وأصبحت الأيديولوجيات لها وسائل أخرى غير الوسائل الرسمية مثل خلال المؤسسات المعتادة ولكن تطورت وسائل التواصل مثل:

- الإعلام:

تعتبر وسائل الإعلام أخطر المؤثرات العصرية فى حياة البشر الآن ، فهى تشارك الأسرة والمدرسة والمسجد وباقى المؤسسات الأخرى فى تربية الأبناء وتنشئتهم ، بل إنها تتداخل الآن لتشكيل عقائد الناس وفكرهم حتى الكبار منهم". لذا كان الخطاب الإعلامى يظهر على أنه أداة أيديولوجية للطبقة المهيمنة اقتصاديا وسياسا بصورة أكثر وضوحا من المؤسسة التربوية ، عبر سيطرة الطبقة الحائزة للثروة على أجهزتها الضخمة فى الصحافة ومحطات الإذاعة والتليفزيون. "ولاشك أن الاتفاق على فكرة الهيمنة عبر الأقناع وتحقيق إجماع وتعدد شكلى داخل المجتمع. أو ما يعرف بالهيمنة الناعمة ــ هو ما دفع مدارس التحليل النقدى للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامى ، حيث يعكس ويجسد كل من المجال الإعلامى والخطاب الإعلامى عملية الصراع والهيمنة عبر الاقناع وتزييف وعى الجماهير" فدور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرى خطير جدا من الناحية التربوية الذى لا يمكن إغفاله وتجاهله أن أردنا أن نعلم النشء بالطريقة الصحيحة والأسلوب الحديث".

ومن هنا يمكن أن تستخدم وسائل الإعلام كوسيلة تربوية مفيدة ومؤثرة تأثيرا إيجابيا فى التربية والثقافة من خلال القنوات التعليمية التى يمكن أن يكون لها دور كبير بالإضافة إلى أنه يمكن أن يستثمر هذا المجال الإعلامى لتحقيق التواصل بين الأفكار الجيدة والجديدة فى المجتمع والمستثمرين سواء لإنشاء مشاريع جديدة أو تحدى المشاريع القائمة.

1- الأسرة:

تعتبر الأسرة هى أول بيئة طبيعية تلبى حاجات الإنسان منذ طفولته وذلك بتوفير الأمن والحماية والاستمرارية فى الحياة والحفاظ على الطفل ، وقد يكون احتياج الطفل للسرة يعادل احتياج الأسرة للطفل ، وذلك لتبادل الأدوار فى مراحل عمرية مختلفة ، ولذلك تكون الأسرة حيصة على إكساب مجموعة القيم والعادات والمهارات السلوكية التى تجعله جزء من الأسرة يحمل صفاتها وخصائصها من أجل استمرارية هذا الكيان الاجتماعى ومن هنا فإن الأسرة هى الخلية الأساسية فى المجتمع وهى المسئولة عن قوة أو ضعف البنية المجتمعية العامة لدى أفرادها وهى ما يسمى "التنشئة الاجتماعية".

إلا أن الوضع فى الوقت الراهن قد تقلصت فيه الوظائف ومعها مسئوليات الأسرة فتحولت بذلك هذه الأخيرة من مركز دائرة التربية إلى عنصر أو طرف مشارك فى العمل التربوى والاجتماعى. وبسبب هذا الانتقال فى الدور جعل الأسرة تفقد توازنها وصدارتها الاجتماعية ، مما فرض عليهم أن تعيد النظر فى علاقاتها مع مختلف الطراف المشاركة فى العمل التربوى من مدرسة وشارع ووسائل الإعلام.

وإذا كان الدور الاجتماعى لكل من المدرسة والأسرة يتضح فى التنشئة الاجتماعية للأفراد عن طريق التربية فإن علاقتهما يجب أن تنطلق من هذا المنظور الأساسى. وعلاقة الأسرة بالمدرسة لا يجب أن تبقى علاقة سطحية تتجلى أساسا فى أن الأسرة هى التى تزود المدرسة بالمادة الأولية ، وبالتالى فإن عملية التربية عملية شراكة بين مؤسساته –كان دائما الخبراء يضعهما فى طرفين متقابلين بين المؤسسة الرسمية والمؤسسة غير الرسمية– ولكن هذه العلاقة أثبتت تلاشى الفوارق بين هاتين المؤسستين. وعادة يظهر تأثير الأسرة على الفرد وهنا يكون على المدرسة معرفة البيئة المنزلية للطفل حتى يمكنها إدراك العوامل المختلفة والمتداخلة فى شخصيته. وبالتالى يظهر أن الأسرة والمدرسة وباقى مؤسسات التربية ليست فى حالة تنافسية ــ أو كما يجب أن يكونوا ــ لضمان تنمية الفرد والمجتمع بشكل متكامل.

وأخيرا فإن العلاقة بين المدرسة والأسرة بشكل خاص يجب أن نرتكز على مبادئ التواصل والتفاعل المتبادل والشراكة الفعالة ، مع تسخير كل الإمكانيات والوسائل والسبل الكفيلة لتفعيل هذه العلاقة على مستوى التطبيق والممارسة. وتبقى المدرسة هى التى يجب عليها أن تخطو الخطوة الأولى نحو هذا الانفتاح وعليها أن تعمل جاهدة على جعل الأسرة تلتحق بها وتشاركه هذا الانفتاح وعليها أن تعمل جاهدة على جعل الأسرة تلتحق بها وتشاركه هموم عملها. كما يجب عليها أن تنفتح أيضا على باقى مكونات المحيط وذلك بتفعيل جميع الإجراءات التشريعية والقانونية التى تمكنها من تحقيق هذا الانفتاح.

- المؤسسة الدينية:

أن الدور الأخلاقى والقيمى هو جوهر المؤسسة الدينية فى المجتمع. ومن هنا تأتى أهمية المرجعية الدينية للخطاب التربوى ، وإذا كان هذا الخطاب له أكثر من منبر إلا أن دور العبادة تضفى نوعا من القداسة على الخطاب الدينى. حيث تمثل دور العبارة إحدى مؤسسات التربية وعليها تقع تنمية الوازع الدينى فى نفوس الأفراد فهى تؤدى وظيفة حيوية فى حياة الأفراد والجماعات بتأكيدها للقيم الخلقية والروحية

ودعوتها للاتصال بالله والخضوع لسنته وشرعه. وعلى ذلك تقوم المؤسسة الدينية بدور تربوى وخاصة فى المجتع العربى ، والذى يعتمد فى معظم ثقافته الدينية على الخطب والمواعظ فى المساجد ــ نتيجة أنتشار الأمية فى المجتمع ــ ويعتبر الخطاب الدينى أحد المرجعيات المهمة فى الفكر التربوى العربى لذا نجد أن كثيرا من فلاسفة التربية– الآن– ذو مرجعية إسلامية أو دينية فأنتشرت مؤلفات التربية الإسلامية والفلسفة الإسلامية .. الخ "ومما لاشك فيه أنه لا يكاد يوجد عمل فكرى أو أيديولوجى يؤدى دون أن ينطلق من إطار عقائدى أو رؤية مذهبية كما أنه لا يكاد يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وقام ببنائه الاجتماعى على معتقدات دينية خاصة

وهذه المعتقدات هى التى توحد أفراد هذا المجتمع فى مختلف نواحى حياتهم وتنظم أمورهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وذلك من خلال المعايير التى يتم بها الحكم على مختلف الأمور". لذا فإن المرجعية الدينية أحد المرجعيات الأساسية فى الخطاب التربوى العربى ، وتجديد الخطاب التربوى العربى يتطلب بالتبعية تجديد الخطاب الدينى وتجديد آليات وسائل الخطاب التربوى هى أيضا تجديد آليات وسائل الخطاب الدينى وطرق تحليل الخطاب التربوى ترتبط بطرق تحليل الخطاب الدينى.

الخطاب الديني

لا شك أن الخطاب العربي فى حاجة إلى تجديد فكرى ثقافى واسع عميق ، تجديد يعيد للاجتهاد حياته ونشاطه من جديد ، يضع للمشكلات المعاصرة حلولها من داخل شريعة الإسلام ، ويصف لأدواء مجتمعاتنا أدويتها الناجحة من صيدلية الإسلام نفسه، لا من مصنوعات الغرب العلمانى أو الشرق الإلحادى .

وتحتل مسألة الخطاب الدينى مكاناً أساسياً فى سياق الحديث عن دور الأديان فى تطوير المجتمعات إذ أن للخطاب الدينى تأثيراً بالغاً فى توجيه وتشكيل فكر الناس، ووجدانهم، وسلوكهم فى مجتمعاتنا العربية، وخصوصاً تلك التى يشكل الدين فيها مكوناً بارزاً من مكونات الهوية الفردية والجماعية، والخطاب الدينى هو شكل من أشكال الاتصال مع الناس فى ظل مجتمعات عربية تعتبر فى غالبيتها متدينة، وليس غريباً أن يكون الحديث عن الخطاب الدينى ذا أهمية فائقة فى وقتنا الراهن، وخاصة أنه يقوم أيضًا بصقل ثقافة الناس الدينية، وبالتالى القيم والمبادئ، والسلوكيات الاجتماعية، أما الدعوات لتجديد الخطاب الدينى، وإصلاحه فهى ليست أمراً جديداً بل قديم، ولكنه صار مطلباً داخلياً وخارجياً نتيجة الأحداث العالمية والتحولات الحضارية التى يشهدها عالمنا المعاصر.

إن نظرة سريعة على تاريخ الحياة والأحياء تقف على ما قام به الإنسان من توجيه لأحداث التاريخ ومن تغيير لا حدود له فى جميع مرافق الحياة وفى العصر الحديث نجح فى إحداث ثورات كبرى فى ميادين العلم والتكنولوجيا والمعلومات والاتصالات، كما نجح أخيراً فى اكتشاف خريطة الجينات البشرية، وهى الخريطة الوراثية للإنسان وكما يتوقع العلماء أن التطورات فى هذه المجالات لن تقف عند حد معين. ونظراً لأن حركة الحياة لا تكف عن الدوران فإنها دوماً متجددة، حتى خلايا جسم الإنسان نفسه تتجدد بصفة مستمرة. ومعنى هذا أن التجديد هو سنة الحياة، لأن البدل للتجديد هو الجمود والموت. والإسلام بطبيعته دين متسق مع سنن الحياة ولا يصادم الفطرة الإنسانية، ومن هنا يشجع التجديد المستمر لحركة الحياة والمجتمع، وصولاً إلى الأفضل فى جميع المجالات، وقد جاءت الدعوة إلى التجديد واضحة وصريحة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "ولأن الإسلام فى تعاليمه يعد ديناً للحياة بكل جوانبها المختلفة ومن هنا نشط علماء المسلمين ومفكريهم على مدى تاريخ الإسلام فى العمل على تجديد الحياة وترقيتها عن طريق العلم والمعرفة.

ومن ذلك يتضح أن تجديد الخطاب الدينى يعد ضرورة حياتية واجتماعية ودينية فى الوقت نفسه: أما أنه ضرورة حياتية فلآن الدين للحياة، والحياة متجددة، فلابد أن يكون الخطاب الدينى أيضاً متجدداً. وأما إنه ضرورة اجتماعية فلأن الدين له تأثيره البالغ فى المجتمع فى تشكيل سلوك الناس أفراداً وجماعات. فإذا أردنا أن تصل الرسالة الدينية إلى المجتمع لتؤدى الغرض المطلوب من أجل حماية المجتمع من كل أشكال التشدد والتطرف والإرهاب فلا مفر من تجديد الخطاب الدينى. أما أنه ضرورة دينية فذلك يأتى انطلاقاً من الحديث المشار إليه، والذى يعنى ضرورة مواكبة متغيرات كل عصر.

أولاً: المقصود بالتجديد ودلالاته:

وردت مادة جد ومشتقاتها فى القرآن الكريم نحو عشرات المرات وهى فى جملتها تدور حول عدة معان أهمها: الرفعة والاجتهاد والوسطية وطلب معالى الأمور. فقد جاء فى المعاجم اللغوية: الجدة نقيض البلى، وهو مصدر الجديد، والجديد ما لا عهد لك به، والجد نقيض الهزل، وجد فلان بالأمر إذا أحدثه فتجدد، والجد الغنى والجادة وسط الطريق، وتجدد الشئ صار جديداً، الجد هو الاجتهاد، وجد بالشئ ناله، وأجد فلان: سلك الجدد. ومن الآيات التى

ورد فيها اللفظ بمشتقاته { وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} (الإسراء:49) "{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ}" فاطر: من الآية 27)" { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}" (فاطر: 16) {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} (الرعد من الآية 5) { وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ }(السجدة: من الآية: 10)" {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}(سبأ: 7) { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} ﴿١٥﴾(ق: 15) وما فى الآيات الكريمة من معان تدعو إلى عدة أمور أهمها:

1. الحرص على كل جديد فيه إعزاز الدين ورفعة أهله.
2. إزاحة ما تراكم على تراث المسلمين من غبار، لتظل معالم الدين باقية.
3. التزام الجادة فى الدعوة إلى هذا الدين الخاتم تحقيقاً لقوله تعالى:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}﴿١٥٣﴾ (الأنعام: 153)

1. تعريف التجديد عند علماء اللغة العربية:

جاء فى اللسان: تجدد الشئ صار جديداً، وأجده وجدده واستجده أى صيره، والجديدان الليل والنهار، لأنهما لا يبليان أبداً.

2. التجديد اصطلاحاً:

إعادة نضارة الدين ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس قال العلقمى فى معنى التجديد:" إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، ويكون التجديد بإحياء الفرائض المعطلة وإزالة ما علق بالدين من الآراء الضالة والمفهومات المنحرفة، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتفهم بالبساطة التى فهمها سلف هذه الأمة. ولا يعنى التجديد بحال من الأحوال إضافة شئ جديد إلى ثوابت الدين. فهذا وذاك ليس فى الحقيقة من التجديد، وإنما هو ابتداع أو مسخ وتجريد.

3. من يمارس مهمة التجديد:

ولابد لمن يمارس مهمة التجديد أن تكون لديه الأدوات الصحيحة لفهم الإسلام، معرفة بلغته العربية، وبأصول التفسير والحديث والفقه، وأن تكون لديه معرفة بالواقع الذى هو مجال التطبيق، وأن تكون لديه القدرة على عرض حقائق الدين، وتزيينه للناس،

حتى يظل متجدداً فى حياتهم معالجاً المشكلات التى يواجهونها، سواء فى مجال العقيدة والرد إلى الأصول (الكتاب والسنة)، أو فى مجال دحض خصوم الإسلام، والرد على افتراءاتهم، أو فى مجال التعاون بين العلماء والحكام المخلصين من أجل إحياء مفاهيم الدين فى النفس والمجتمع والدولة، وقد وضع "عبدالله النجار" لتجديد الخطاب الدينى آليات هى :

4. آليات تجديد الخطاب الديني:

1- التفرقة بين دلالة الحال، ودلالة المقال، وهذه الآلية هدفها توسيع وجه الدلالة من النص ليتجاوز حدود ما عرف عن فقهائنا السابقين في التعامل اللغوي والاصطلاحي ليشمل دلالة الحال التي تستشرف مقصد النص، وما يريده الشارع من انزاله.

2- التفرقة بين الأمور التعبدية، والأمور التعليلية.

3- ترسم مقاصد الشارع الحكيم والاستدلال بها علي تعريف المصالح المعاصرة. إن الشارع الحكيم ما أنزل دينه إلا لمصلحة عباده وتحقيق سعادتهم في الدنيا والأخرة.

4- إصلاح التعليم الديني بما يبتعد به عن أسلوب الحفظ والتلقين إلي جر الطالب إلي ساحات النقاش والحوار حتى يستطيع أن يصل إلي حقيقة الأمر في المسألة التي يتناقش فيها.

5- أن يؤهل القائم بالخطاب الديني تأهيلاً علمياً تربوياً مناسبًا.

6- إعادة النظر في المستوي العلمي لمن يقوم بالخطاب الديني.

7- تزويد محتوي الخطاب بالمادة العلمية التي تصنع منه عالماً قادراً علي توصيل الخطاب الديني السمح مستوعباً لدافع العصر والمستجدات، معتبراً الجمهور والمتلقي آلية ضرورية من آليات تجديد الخطاب الديني.

8- أن يقوم تجديد الخطاب الديني علي داعية ملم بقضايا الزمان والمكان، بشرط أن يكون انتماؤه لله ورسوله ولوطنه لا للشرق ولا للغرب.

9- أن ينطلق الخطاب الديني والداعية من فقه المقاصد الشرعية، إضافة إلي إدراك فقه الواقع مضافاً إليها حفظ العقل والمال والنفس ولا يكون ذلك إلا من خلال حفظ الوطن مع ضرورة تحقيق الآمن والرفاهية للمجتمع.

5. متطلبات تجديد الخطاب الدينى:

- زيادة الكوادر الإعلامية التي تعرف كيف تتعامل مع وسائل الإعلام الحديثة.

- إنشاء قنوات إعلامية إسلامية بلغات متعددة تفر من فكر الإعلام الغربي.

- تطوير الإمكانات الفنية للارتقاء بتجديد الخطاب الديني.

- الاستفادة من كل وسائل الإعلام { إذاعة – تليفزيون – انترنت – صحافة) والتي تعمل علي تجديد الخطاب الديني.

- محاولة تصميم مواقع إسلامية علي شبكة الانترنت لنشر الوعي الديني.

- عقد ملتقيات دعوية لتبادل وجهات النظر بين علماء المسلمين باستخدام وسائل الاتصال الحديثة.

ويحدد "سالم عبدالجليل" متطلبات التجديد في الخطاب الديني في ما يلي :

1- تصحيح المفاهيم.

2- شحذ ما ضعف من همم المسلمين، بسبب اليأس الذي أصابهم جراء الاستبداد والتخلف والتمزق، وتقوية ما خار من عزائمهم.

3- التجديد المنشود ليس صخباً إعلامياً ولا مظاهر جوفاء أو مجرد حديث عن الإسلام أو حديث يغلب عليه الطابع الفقهي ولا إيمان بعقيدة الإسلام، وتشبث بتعاليمه بمنأي عن واقع الأمة ومعاناتها اليومية ومستقبلها وما يجابهها من تحديات.

4- التجديد المنشود هو إيمان يصحبه عمل صالح علي الأرض، لمصلحة الأمة، وتحريك لهذا الواقع الراكد بميراث النبوة، ومواجهة للتحديات بالعقل المبدع المستنير بالوحي المنضبط بالمصلحة المستفيد من تجارب الأمم المتحضرة.

5- العمل على إعادة تشكيل وعي المسلم وفهمه وتصوراته ورؤاه وفق عقيدة الإسلام من جديد، تمهيداً لاعادة بعث النموذج الإسلامي المفقود وفق مقتنيات الحاضر ومتطلبات الأمة.

6- استلهام التاريخ الإسلامي واستيعاب لسنن التطور والتغير، دون التقوقع علي مرحلة تاريخية باعتبارها النموذج الأفضل حضارياً، أو الانزواءعن هموم العصر والانشغال بقضايا لا تقدم ولا تؤخر.

7- بناء وعي إسلامي حضاري قوامه العقل والوحي.

8- تعليم الناس جوهر الدين وحقيقته بعد أن حادوا عنه واختلت لديهم الموازين فجعلوا الفرض نافلة، والنافلة واجباً، والدين صوراً وأشكالاً، لاصلة لها بالحضارة حتى ظن الناس أن أساس التدين الانسحاب من الحياة أو الهروب إلي أنماط من السلوك تعد تاريخية من وجهة النظر الشرعية، وأن المسلم يمكن أن يكون عابداً الله مفرطاً في واجبات أمته مستهيناً بمسؤولياته.

9- التجديد المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس أو أهواءهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين.

10- التجديد المنشود: هو توجيه الخطاب الديني إلي ممارسة دور أبرز في إثارة الوعي الشعبي بالواقع وضرورات الإصلاح والتغيير، والخروج من التركيز عن قضايا العقائد والعبادات إلي الحديث عن المعاملات، والمصالح المرسلة للأمة، وحين توقف التجديد علا العقل الإسلامي الصدأ، فالحاجة ملحة الآن لإعادة تشغيل طاقات التجديد بخطاب ديني منفتح علي العصر وقادر علي مواجهة التحديات، وتحمل المسئوليات.

النبي صلي الله عليه وسلم أول من تحدث عن التجديد: ولما كانت حياة الناس يصيبها الفتور في كل المجالات أو بعضها، لزم أن يكون في الأمة من يجدد لها دينها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:" إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

ومعني بعث لهذه الأمة أي: يقيض لها. وقوله صلي الله عليه وسلم، علي رأس كل مائة سنة من الهجرة أو غيرها، وقوله صلي الله عليه وسلم:"من يجدد لها دينها": "من" يطلق علي المفرد، وعلي الجماعة من حيث اللفظ.

والمقصود" بمن" من حيث المراد بها في الحديث فرد واختار هذا الرأي عدد من العلماء وقال بعضهم وكونه فرداً هو المشهور ويري البعض أن (من) للعموم.

وقد ذكر في دليل الإمام إلي تجديد الخطاب الديني أن المراد بمن يجدد ليس شخصاً واحداً بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد، في فن، أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلي أن يأتي أمر الله.

6. ضرورة تجديد الخطاب الديني:

تتعدد ضرورات تجديد الخطاب الديني لتحقيق الآتي:

- تجديد المنظومة التربوية بالمجتمعات الإسلامية.
- تلبية متطلبات المجتمع.
- مواكبة تغيرات العصر.
- الحفاظ علي ثوابت الشخصية الوطنية.
- توعية الدعاة والوعاظ والمفتين بضرورة ومعني التجديد.
- التأصيل التربوي للتجديد التربوي المجتمعي.

-

7. ضوابط التجديد المنشود في خطابنا الديني.

وقد وجد الباحث أن ضوابط التجديد المنشود في الخطاب الديني إما أن تتعلق بالداعية، وإما أن تتعلق بالخطيب المجدد أثناء عرضه لدعوته ورسالته، وإما أن تتعلق بالجمهور المخاطبين وهي كالآتي:

1- ضوابط تتعلق بالداعية في تجديد الخطاب الديني:

- إعداد الداعية مادياً وأخلاقياً.
- عدم مصادمة الغرائز.
- قوة البيان وفصاحة اللسان.
- الموضوعية والتجرد من الأهواء.
- مواكبة التطورات والمتطلبات والمعطيات العصرية.
- الإحاطة التامة بالبيئة.
- العلم ببعض اللغات الأخري.
- تجديد الرسالة التي يبلغها للناس { الدين }.

2- ضوابط تتعلق بالخطيب المجدد أثناء عرضه لدعوته ورسالته:

- عرض الوجه الميسر للدين.
- إبراز الجوانب الإنسانية في الإسلام.
- المحافظة علي الثوابت والأصول.

3- ضوابط تتعلق بالجمهور:

- مراعاة عقلية المخاطبين وتوجهاتهم الفكرية.
- ملاحظة الاتجاهات السائدة في المجتمع.
- مراعاة المناسبات عند المخاطبين.
- مراعاة المشاكل الاجتماعية التي تعج بها الساحة المعاصرة.

وجاءت توصيات منتدي السماحة والوسطية بالمجلس الأعلي للاوقاف بمصر لمنتدي السماحة الوسطية علي ضرورات تجديد الخطاب الديني من وجهة نظر العلماء وهي كالآتي:

1. شيوع الأمية الدينية.
2. وجود أزمات اقتصادية طاحنة تهز كيان الأسر والمجتمعات.
3. الابتعاد عن ينابيع الإسلام الصحيحة نظراً لضيق الوقت.
4. فقدان الصلة بالحقائق الدينية إلا من خلال خطبة الجمعة أو وسائل الإعلام.
5. الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون
6. انتشار بعض التقاليد الدينية الخاطئة.
7. تنصيب بعض الأفراد والجماعات أنفسهم أوصياء علي الدين.
8. محاولات تشويه الدين الإسلامي وشق الصف العربي.
9. محاولات خرق الصف المصري وإثارة الخلافات بين الإسلام والمسيحية.
10. محاولات دينية متطرفة لتقليب الجماهير علي النظام القائم.
11. ضعف التقدير المادي والمعنوي لعلماء الدين.
12. تغيرات العصر المتجددة وما تتطلبه من أسانيد ومحددات وتأصيلات دينية.
13. تصدي بعض الأفراد للفتوي دون أن يكونوا أهلاً لها.
14. اختلاط بعض المفاهيم الدينية، كالجهاد، والشهادة. ... بمفاهيم الإرهاب والانتحار.
15. افتقاد القدوة في الكثير من علماء الدين المعاصرين.

16. افتقاد الخطاب الديني لدعوات الإصلاح والوسطية والتغيير والنقد والبناء.

17. عدم الالتزام بأخلاق وتعاليم الدين في الشارع المصري.

18. تقلص فرص الحوار والتقارب بين الأديان.

وقد اهتم رواد الإحياء والتجديد الإسلامي بقضية تجديد أو تطوير الخطاب الديني اهتماماً كبيراً ونجد ذلك الاهتمام الكبير بداية من الدعوة التي أطلقها الشيخ "حسن العطار" {1180 – 1250 هـ / 1766 – 1835 م }:" إن بلادنا لابد أن تتغير، ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها"

ومحاولات الإمام "محمد عبده" (1265 – 1323 هـ / 1849 – 1905م) لإدخال تدريس العلوم الحديثة في الأزهر الشريف وغيرهما.

والدكتور "محمد عمارة "يعد أحد ثمرات تيار الإحياء والتجديد الإسلامي، والامتداد المتطور لفكر هذا التيار – واحداً الداعين باستمرار إلي تطوير المناهج التي تقدم في المعاهد والجامعات الدينية، وكذلك إلي تطوير وتجديد الخطاب الديني، انطلاقاً من إيمانه بشمولية المنهج الإسلامي لكافة مناحي الاجتماع الإنساني، التي جاء الإسلام خاتم الأديان قادراً علي استيعابها وتسييرها إلي يوم الدين. والخطاب الديني هو رسالة ذات محتوي أو مضمون معين يمكن من خلاله تحقيق أهداف معينة، وتصدر

هذه الرسالة عن علماء الدين أو الدعاة والفقهاء، إلي جماهير الأمة وإلي العالم الخارجي، ويشمل الخطاب الديني الإسلامي جملة ما يصدر عن المعاهد والمدارس والجامعات الإسلامية وكافة المنابر والكتب ووسائل الإعلام المختلفة من الصحف والمحلات والإذاعات المسموعة والمرئية من علماء الإسلام ومفكريه والدعاة إليه.

ويحدد رواد تيار الإحياء والتجديد والوسطية الإسلامية الجامعة مظاهر الخلل في تجديد الخطاب الديني.

1- الجمود في بعض قطاعات الخطاب الديني الصادر عن بعض الجماعات القليلة التي تدعي أنها وحدها" الفرقة الناجية" وأن ما عداها من جمهور الأمة هالكون.

2- ما حدث من إنتاج وتبرير لفكر فصيل العنف والغضب والاحتجاج الذي وإن حسنت نواياه ومقاصده إلا أن الغضب قد دفعه إلي ما يقرب من الجنون.

3- تخريج متخصصين في شئون الواقع الدنيوي الإدارية لا علاقة لهم بعلوم الدين، ولا بالفنون المكونة لهوية الأمة وحضارتها، وتخريج علماء ودعاة في الفكر الديني، يعيشون في واقع عصور قد تجاوزها التطور، ولا دراية لهم بعلوم الواقع الذي تعيش فيه أمتهم.

وبرغم الدعوات المتتالية لتجديد الخطاب الديني إلا أن هذه الدعوات كانت تواجه من تيار الجمود والتقليد في الفكر الإسلامي والتغريب العلماني، لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي أذهلت العالم أجمع، وضعت قضية المحتوي الدراسي في مؤسسات التعليم الديني، وقضية الخطاب الديني الإسلامي علي سلم أولويات العالم أجمع.

وهكذا أصبحت الدعوة إلى تطوير الخطاب الدينى التى جاهد فى سبيلها رواد الإحياء والتجديد الإسلامى، مطلباً عالمياً، يدعو إليه الغرب، بل ويضعه على سلم أولوياته، ويحشد له كافة إمكاناته المادية والإعلامية، وبالطبع يمارس كافة ألوان الضغوط السياسية والاقتصادية من أجل تحقيق هذا التطوير. وأصبح يواجه تيار الإحياء والتجديد الإسلامى جبهة الجمود والتقليد والتحجر على تراث عصور التراجع الحضارى الإسلامى، وجبهة التغريب والتقليد هو الذى مهد الساحة الفكرية ليتمدد فيها فكر التيار التغريبى العلمانى.

8- مظاهر انحراف الخطاب الديني:

- الدعوة للإسلام عن طريق الترغيب والترهيب.
- الميل إلي التشديد علي الناس.
- الغفلة عن مقاصد الشريعة والوقوف علي ظاهر النصوص وحروفها.
- الغفلة عن ترتيب الأولويات ومراتب الواجبات الدينية.

- الغفلة عن دور العقل وأهمية العلم في بناء التصور الإسلامي.

- مداومة الحديث عن الماضي والذهول عن الحاضر والخوف من المستقبل.

- الطرح الخاطئ لعلاقة المسلمين بالغير.

9- المجددون للخطاب الدينى :

- "هم غرس الله الذين لا يزال يغرسهم فى دينه، وهم الذين قال فيهم "على بن أبى طالب" كرم الله وجهه لن تخلوا الأرض من قائم لله بحجته.

- "عزمهم وهمتهم آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها ونصر صاحبها وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها".

- ينطلقون من الإسلام عقيدة ومنهجاً ليؤسسوا الوعى جديد .
- يجددون الإسلام وفق منهج الاجتهاد الذى لا يجيز إلغاء النص ولا خرق الإجماع ولا مخالفة قياس جلى، أصحاب فكرة ومنهج ومبدأ لا يموتون بالموت البيولوجى الذى كتبه الله على كل حى.

10 – معوقات تجديد الخطاب الديني:

هناك معوقات تحول بينه وبين اتخاذ مسراه فى وقتنا المعاصر نذكرها على طريق الإيجاز كما يضعها "بكر ذكى عوض" كالآتى:

- عدم الاقتناع بالدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى.
- فقدان الأهلية للتجديد فى الخطاب الدينى.
- خلافات تراثنا الدينى وأثره فى عدم التجديد.
- تقليدية مناهج التعليم فى المؤسسات الدينية.
- الجهل بتحرير المفاهيم لدى القائمين على أمر الدعوة فى ديار الإسلام.
- الصراع المذهبى على اختلاف صوره.
- الجهل بالحقائق الكبرى للإسلام.
- الصراع بين دعاة التجديد ودعاة التقليد.
- الوجه القبيح لبعض المجددين فيما يقولون أو يكتبون.
- انحدار المستوى العلمى للدعاة.
- فقدان البصيرة فى خطاب الأخر.

- نقل واقع المسلمين إلى ديار الغرب بكل ما يحمله الواقع من تخلف عقلـــى وصـــراع فكرى وتنافس مذهبى.
- عدم إحياء المنهج النبوى فى إعداد دعاة يعرفون الآخر كما ينبغى.

وشخصية النبي **صلى الله عليه وسلم** هي الشخصية الإنسانية المثالية التي يجد فيها الإنسان مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها ،و يأمر بمخاطبة الناس علي قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم، يراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه من يحب المكانة، لأنه في قدمه ذو مكانة، وهو من خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقتهم لاستغلالها في الخير والسمو

لقد كان صلى الله عليه وسلم يمتاز بسهولة ألفاظه، ودقة اختياره لمعانيها، يكره التكلف وفضول الكلام، لم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين لمن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم.

من العرض السابق لرؤية العلماء حول "قضية تجديد الخطاب الدينى" أن هذا التجديد هو سنة وقانون، وضرورة تقتضيها التطورات والمتغيرات المتلاحقة، كما يقتضيها كون الإسلام هو رسالة الله الخاتمة إلى البشرية، والمنوط إليه دائماً – أو هكذا يجب أن يكون – تقديم الإجابات عن كافة التساؤلات التى يطرحها الإنسان كلما واجه الجديد من الإشكاليات التى تفرض عليه أن يتساءل، ولما أدرك علماء الإسلام ومفكروه حتمية وضرورة هذا التجديد، نادوا به ودعوا إليه، وناضلوا من أجله، وقدموا رؤاهم وتصوراتهم فى كافة الميادين والقضايا التى فرضها" الواقع" فى المجتمع الإسلامى.

إن تطوير الخطاب الدينى وتجديده، هو جزء من تطوير مناهج التعليم الدينى، والأهم أنه تعبير عن نهضة فقهية أو على الأقل حركة تجديد فقهى وإصلاح تربوى فى المنزل ودور العبادة، وفى تكوين وتثقيف وإعادة تأهيل رجال الدين، وذلك بالإنفتاح على المعارف والعلوم المعاصرة، حتى يمكن لرجل الدين، والداعية أن يعمل العقل والمصلحة العامة معاً فى الإجابة عن أسئلة الأزمنة والوقائع المتغيرة.

أما المعجم الوسيط ففيه الخطاب هو" الكلام والخطاب المفتوح خطاب يوجه إلى بعض أولى الأمر علانية، والخطبة الكلام المنثور يخاطب به متكلم في جمع من الناس لإقناعهم والخطيب المتحدث عن القوم"

إن هذا القاموس يضيف ثلاثة أشياء أساسية جديدة: فالخطاب موجه إلى أشخاص مجددين، كما أنه يرمي إلى الإقناع، وقد يكون كلام الشخص المتحدث نيابة عن أشخاص آخرين، لذا فإن كلمة" خطاب" في القواميس العربية تحمل دلالات متعددة، فالخطاب قد يكون الكلام أو فعل توجيه الكلام، وهو محدد في الحيز الزمني بنقطة بداية، وبنقطة انتهاء، على اشتراط وجود شخصين أو أكثر يتفاعلان أو يتفاعلون فيما بينهما أو بينهم بهدف تحقيق الإفهام أو الإقناع أو هما معاً.

فالخطاب الدينى: كل ما يراد إبلاغه والترويج له، والإقناع به، بغية التوعية والتبصير، مما هو متصل بالدين والفكر الدينى.

إنه يتسع لمجموع ما يعرض فى المقول والمكتوب من الأفهام والأنظار والتأويلات، والتخريجات والاجتهادات والفتاوى والأحكام التى تستخلص من النصوص التأسيسية، وينبغى بنشرها تعميق الوعى بمقاصد الدين الحنيف، وفهم حقائقه بما يضمن تجسيد قيمه السمحة. بهذا يكون الخطاب الدينى رسالة تجمع ولا تفرق، تبنى ولا تهدم، تيسر ولا تعسر، ترغب ولا تنفر، تحض على الوئام والسلام، وتنه عن البغضاء والصدام رسالة تصل إلى المقتبل مبرأه من كل ضروب الشوائب والأباطيل، ومن كل النوايا الخسيسة التى يبطنها المتأدلجون بالمقدس، وكم هم كثر فى هذا العصر! الخطاب الدينى توعية وليس تعبئة، تنوير وتبصير، وليس بالاستهواء والتغرير

، هو إضافة إلى دوره الأساسى فى البناء الداخلى للفرد، ينمى مدارك العقل" وما اكتنز المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى" وليس بغسل للأدمغة والتحكم فى توجهات السلوك. إنه الخطاب النير المرشد الذى تتزايد الحاجة إليه فى السياق التاريخى الذى يشهد تماهياً غريباً بين التطرف والفكر الخرافى، وتعاظماً عجيباً لسلطان الإعلام بوسائله المتطورة من انترنت وفضائيات وغيرها.

فالخطاب الدينى المنشود فى هذا العصر هو ذلك الخطاب القادر على التعامل النقدى مع كل الموجات المعاصرة من عولمة وفضائيات وانترنت. وما إلي ذلك، وهو أيضاً ذلك الخطاب القادر علي وضع إجابات مقنعة لكل ما جد في عصرنا من تساؤلات حول ظواهر جديدة مثل طفل الأنابيب – الإستنساخ – نقل أعضاء الجسد من شخص إلي آخر، وهو أيضاً ذلك الخطاب القادر علي صيانة المجتمع المسلم من كل عوامل التفتيت الداخلي والغزو الخارجي.

وهو أيضاً ذلك الخطاب الذي يتفاعل شرعياً مع الفرد والمجتمع في مرحلة التغيير والبناء محلياً وإقليمياً وعالمياً، وهو ذلك الخطاب القادر علي تشكيل عقل ووجدان غير المسلمين بما يتناسب مع فاعلية الدعوة الإسلامية ورسالتها التحريرية النبيلة، وهو أيضاً إحياء وتنمية منابع التدين الإيجابي الذي يربي الشخصية المسلمة تربية صحيحة ومحاربة ثقافة الخرافات والإسرائيليات والأضرحة والدروشة، وهو أيضاً وجوب تغير الفتوي بتغير موجباتها كما قال علماؤنا، ومعناه كذلك: مراجعة الأفكار والمواقف والاجتهادات علي ضوء المستجدات وفي إطار الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

الفصل الخامس

ثقافة الشباب العربي في البيئة الرقمية

عولمة الثقافة

العولمة في الاصطلاح: تعني اصطباغ عالم الأرض بصفة واحدة شاملة لجميع أقوامها وكل من يعيش فيها وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية دون النظر إلى الأديان والثقافات والجنسيات والأعراف، فعندما نقول عولمة النظام الاقتصادي أو عولمة الثقافة أو عولمة السياسة، فإننا نعني بذلك تحول كل منها من الإطار القومي إلى التكامل مع النظم الأخرى والاندماج فيها.

الثقافة: لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها، كما أن لكل ثقافة مميزاتها،

ولقد عرفها عالم الأنثروبولوجيا البريطاني "تايلور" بأنها الكل المعقد الذي يحتوي على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي شيء يكتسبه الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع.

التغير لثقافي:

يتمثل التغير الثقافي في تغير الثقافة المادية والتي تشمل ما يصنعه الإنسان من أشياء ملموسة، والثقافة اللامادية والتي تشمل العادات والتقاليد والمثل والقيم والأفكار والمعتقدات، أو إضافة كلمات جديدة للغة أو تعديل النظرية أو أسلوب الإنتاج أو قيم جديدة أو اتجاهات أو عناصر فنية جديدة أو معايير اجتماعية.

والواقع أن جميع الثقافات تتسم بالتغير والذي يعرف بأنه إرادة معينة تعني بدورها فعلاً سواء كان هذا الفعل ضئيلاً أو جسيماً، فهو تغير إلا أن معدل هذا التغير يحدث في المجتمعات بخطى بطيئة.

ويعرف التغير بأنه "التحول الذي يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه وبنيانه أو في وظائفه، كما عالجه البعض باعتباره ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تفضي إلى تغير دائم واجتماعي في المظاهر الثقافية كالقيم والمعايير ونحوها، أي أن التغير عملية اضطرارية مستمرة التغير في أنساق العلاقات الاجتماعية" وتحدث التكنولوجيا تغييراً إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فتحدث تغيير مباشر نتيجة التقدم وابتكار وسائل حديثة إما بطريق غير مباشرة، يترتب على التقدم تغيرات ثقافية واجتماعية وسياسية... الخ، فقد تتسبب وسائل الإعلام اليوم في التغيير بشكل غير مباشر.

ومن المعروف أن لكل مجتمع ثقافة خاصة تختلف عن الثقافات الأخرى مما يؤكد على عدم وجود ثقافة عالمية واحدة وإنما ثقافات متعددة ومتنوعة، ولكن الحادث مختلف عن ذلك، فقد حولت الثورة التكنولوجية العالم إلى قرية معولمة تقوم فيها شبكة الإنترنت بدور كبير في نقل الأفكار والقيم من ثقافة إلى أخرى بشكل يسهم في تغيرات أساليب الحياة وتحولت الثقافة إلى سلعة تباع وتشترى.

وبذلك يتضح لنا أن العولمة الثقافية أخطر أنواع العولمة وذلك لأنها تدخل مباشرة في صياغة الفكر والسلوك الإنساني بوسائل متعددة، فكانت معظم هواجس المفكرين والعلماء تتعلق بخوفهم من تأثير العولمة على ثقافات الشعوب، لأن العولمة ليست مجرد فكرة يمكن قبولها أو رفضها، بل هي حقيقة واقعية تدعو إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع، وكما تهدف إلى فرض ثقافة الغرب ومحو الثقافات الأخرى التي تتعارض معها.

وتعرف العولمة الثقافية "بأنها الانتقال من حقبة الثقافة الوطنية إلى ثقافة عليا جديدة وهي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، ويرى البعض الآخر أن العولمة الثقافية اغتصاب ثقافي وعدواني على سائر الثقافات وهي رديف الاختراق الثقافي الذي يجري بالعنف المسلح بالثقافة ويهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات ولما كان صراع اليوم صراعاً ثقافياً في الأساس فإن الثقافة الموحدة أصبحت في العصر الراهن مخدر الشعوب وذلك من خلال عدة وسائط إعلامية تعمل في إطار استراتيجي عالمى تسيطر عليها الدول الكبرى والمؤسسات التجارية والمنظمات متعددة الجنسيات.

التغير في الهوية الثقافية:-

تمثل مشكلة الهوية الثقافية المحور الأساسي للأمم والشعوب، وأصبح الكشف عن ثوابت الهوية الثقافية واستجلاء محتوياتها أمراً لا مناص منه للحفاظ على الهوية الثقافية التي تميز الثقافات عن غيرها.

وتعد الهوية من المفاهيم الغامضة التي يصعب الإمساك بها شأنها شأن العديد من مفاهيم العلوم الاجتماعية، إلا أن بعض العلماء قد وضعوا تعريفات لها.

فقد عرفها "محمد عابد لجابري "بأنها" وعي الناس بأنفسهم وبما يميزهم عن الآخرين"، وعرفها علماء الاجتماع والسياسة بأنها "نمط الصفات الممكن ملاحظتها واستنتاجها، فهوية الذات أن الشخص كما يرى نفسه، والهوية العامة تعني الشخص كما يتصوره الآخرون".

الإنترنت والثقافة

تعد شبكة الإنترنت أهم ملامح العصر الجديد وأعظم طفرة في ثورة المعلومات والاتصالات وأبرز أدوات الغرب في قيادة العالم، فرضت نفسها على الساحة العلمية والثقافية والاقتصادية وحولت العالم مترامي الأطراف إلى قرية صغيرة ذابت فيها الحدود الجغرافية والسياسية والاقتصادية.

وتمثل شبكة الإنترنت وجه المجتمع المعلوماتي الجديد بما تنشره من قيم وعادات وتقاليد وثقافة خاصة، كما تتيح شبكة الإنترنت أيضاً المعلومات من مصادر متعددة ومتنوعة لا تجعل المعلومة حكراً على أحد، فالكل يعرفها والكل قادر على الوصول إليها فهي تتجاوز مستوى التغطية السطحية للأحداث.

لذلك أثيرت مخاوف كثيرة حول مستقبل الإنترنت كوسيلة مهمة بل وأساسية للإعلام والثقافة والتواصل بين الأفراد والشعوب والمجتمعات والثقافات على مستوى العالم ،ويرجع هذا التخوف من الهيمنة عن طريق الإنترنت وخاصة أن اللغة الإنجليزية هي لغة الكمبيوتر والإنترنت، ما من مادة علمية وإعلامية إلا وتكون باللغة الإنجليزية وهو الأمر الذي يؤرق بال شعوب العالم الناطقة بغير الإنجليزية.

وترجع البدايات المبكرة لشبكة الإنترنت إلى عام 1969م تحت اسم البلنجاوي أربانت Arpant في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تابعة لوزارة الدفاع Departmental Fierce وصممت لدعم الأبحاث العسكرية في هذه الوزارة، ثم بعد ذلك تولت الهيئة القومية للعلوم الإشراف على الشبكة الرئيسية للإنترنت في عام 1986م([12]). ثم تحول الإشراف بعد ذلك إلى القطاع الخاص في أبريل عام 1995م وذلك لأن الإنترنت في بداية التسعينات بدأت تنتشر لتغطي أكبر قدر ممكن من العالم وانضمت إليها آلاف الشبكات، ولحماية هذا التطور وضع بروتوكول TcpItp لاستخدام الإنترنت.

ثم بعد ذلك بدأ الاستخدام الشخصي للإنترنت في تزايد مستمر إلى أن وصل إلى 20 مليون مستخدم داخل الشهر في نفس الوقت وبالتالي انتشرت المراكز المرتبطة بتلك الشبكة، فوصلت إلى ثلاثة ملايين مركز في جميع الأقطار العربية.

والسبب الأهم في انتشار الإنترنت جعلها بغير ملكية لجهة ما تتحكم فيها ووضعت لغة رسمية للإنترنت وهذه اللغة تفهمها كافة الشبكات المرتبطة بشبكة الإنترنت، وبالتالي احتوت الشبكة العالمية على شبكات الكمبيوتر، كما سمحت للأفراد من أي مكان الاتصال بالآخرين بكل سهولة ويسر في أي مكان آخر وفي أي وقت.

وأثبتت الدراسات أن الجانب الاجتماعي والثقافي ذو أهمية بالغة في عملية التغير العلمي والتكنولوجي، كما أن الحياة داخل البناء الاجتماعي عامة والعلاقات الاجتماعية تتأثر بكل تأكيد في تغيرها بالتغير العلمي والتكنولوجي.

والإنترنت ليست مجرد شبكة حاسوب دولية، بل مجموعة من شبكات الحواسيب الجزئية، وتصل إلى أكثر من 60000 شبكة حاسوب منتشرة في شتى بقاع الأرض، ويتركز حوالي 60% من مجموع هذه الشبكات في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تحظى أوروبا بحوالي 26% منها، و14% لبقية الدول من ضمنها الوطن العربي.

كما تمثل شبكة الإنترنت وجه المجتمع المعلوماتي الجديد بما تنشره من قيم وعادات وتقاليد وثقافة خاصة من مصادر متعددة ومتنوعة ومن ثقافات مختلفة.

إذن الإنترنت ببساطة شديدة هي شبكة ضخمة تربط بين مئات الآلاف من الحاسبات وشبكات الحاسبات الصغيرة في شتى أنحاء العالم.

ويعتبر الإنترنت نعمة للبشرية وفي نفس الوقت نقمة لهم، ولقد حدث بالفعل، أن شبكة المعلومات أصبحت نقمة وخطراً يمتد طولاً وعرضاً ليصل إلى الأفراد والجماعات والمؤسسات، كما يهدد الأمن القومي للمجتمعات، فمثلاً يستطيع شن الحروب المعلوماتية.

لم يتوقف الخطر إلى هذا الأمر، فهناك خطراً آخر وهو ظاهرة (إدمان الإنترنت) وهو ما يعرف بالاستخدام المستمر للإنترنت لفترات طويلة، فبعض الأفراد يقضون 40 ساعة أسبوعياً أو أكثر مرتبطين بالإنترنت، ربما يؤدي إلى نوع من الإدمان..

مجتمع المعلومات

إن الاعتقاد بأن شبكات الاتصال تهدف حكماً للسلام والوئام ما هو إلا استسلام بلا وعي للأيديولوجيا العصرية التي تسيطر على خطاب التقدم، فإذا كان مجتمع الاتصال المتعددة يقدم منافع حقيقية فإنه يحمل في المقابل خطر تفجير المجتمعات الفعلية، وذلك بإحلال الفردية والعلاقات الاجتماعية وطلب العيش على قطعة واحدة من الأرض وتقاسم ثروات ثقافية مشتركة.

ولقد أدت زيادة التغير في تكنولوجيا المعلومات بمعدلات سريعة إلى نشوء مجتمع سمي مجتمع الإعلام والمعلومات، والذي أصبح موضوع اهتمام النخبة والمختصين.

ولا يزال مفهوم مجتمع المعلومات غير واضح المعالم بشكل تام، فيعرف بأنه "التحول من مجتمع صناعي إلى مجتمع به المعلومات أكثر اتساعاً وتنوعاً وهي القوة الدافعة والمسيطرة". بذلك أصبح مجتمع المعلومات شكل من أشكال الحداثة الجديدة، وقد حدد "السيد ياسين" سمات لمجتمع المعلومات والتي تستمد أساساً من تكنولوجيا المعلومات:

أن المعلومات غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو لأنها تراكمية بحسب التعريف.

أن قيمة المعلومات هي استبعاد عدم التأكد وتنمية القدرة الإنسانية على اختيار أكثر القرارات فعالية.

أن سر الواقع الاجتماعي العميق لتكنولوجيا المعلومات أنها تقوم على أساس التركيز على العمل الذهنى وتعميقه.

إذن ساعدت ثورة تكنولوجيا الاتصال والإنترنت على ظهور جماعات وغالباً ما يحدث في أماكن العمل، فتنشأ احتياجات متبادلة بينهم وساعد على ذلك أيضاً غرف الشات Chat rooms أو جماعات الأخبار News Group، فعن طريقهم يستطيع الأفراد إرسال رسائل للآخرين أو معرفة أخبار عن أي شخص، فتكنولوجيا الاتصال ساعدت على تدعيم الاتصال بين الأعضاء بشكل مباشر.

ويمكن تقسيم الإنترنت إلى مجموعة من الخدمات كالآتي:-

البريد الإلكتروني E-mail: وهو ما يسمح بإرسال بريد بين مستخدمين الإنترنت شريطة أن يكون لكل منهما عنوان على الإنترنت ومن خلال الدراسات السابقة تقع خدمة البريد الإلكتروني على قائمة استخدامات شبكة الإنترنت وعدم اقتصارها على فئة بعينها، حيث يستخدمها رجال الأعمال وأعضاء هيئة التدريس والطلاب، وقد انعكس هذا الاستخدام على تحسين العملية التربوية. ويكون استخدام البريد الإلكتروني واضح أكثر في غرف الدردشة، فقد أظهرت ستانفورد عام 2000م أن نسبة استخدام غرف الدردشة بلغت 36% من قبل مجتمع شبكة الإنترنت البالغ أعمارهم 18 عاماً.

تلنت Telnet: وهو برنامج يمكن من خلاله الدخول لحاسبات أخرى على الإنترنت.

بروتوكول نقل الملفات File transfer protocol: ويساعد على نقل أي ملف من موقع ما على الإنترنت إلى أي حاسب شخصي.

قارئ الأخبار Usenet News: وتستخدم في قراءة الأخبار.

الأخبار الجماعية News Groups: هي مجموعة من نظم البيانات تنظم مقالات لموضوع معين عندما يريد الناس القراءة عن موضوع معين يمكنه الدخول على الإنترنت وتحديد الخبر والموضوع حتى يمكن الرجوع إليه

فيما يلي عرض لبعض الجوانب السلبية التي نتجت عن استخدام الإنترنت:

المجتمع الافتراضي

أسهمت كثافة الاتصالات الإلكترونية وتدفق المعلومات بدون قيود أو حدود إلى جانب عوامل أخرى خلق ما أسماه "مجتمع المخاطر" ويعني المجتمع الذي عمل فيه نمو للمعرفة على خلق حالة من عدم اليقين وزاد الاعتماد على الخبرة العلمية للتخفيف من الآثار التي نجمت عن تطبيقات العلوم في حياتنا.

لذلك يمكن القول أن شبكات الإنترنت تسمح بإتاحة الاتصال بين شبكة من الناس من خلال البريد الإلكتروني والخدمات الأخرى، وهذا ما أطلق عليه "رينجو" Rinen Gold عام 1994م باسم المجتمعات الافتراضية. وتكمن خطورة المجتمع الافتراضي في أنه يدور حول إدارة الشرور والأضرار والمخاطر وتوزيعها.

2: الانترنت والجريمة والإرهاب

تعتبر جرائم الإنترنت من الجرائم المستحدثة في العالم المعاصر تجعل حياة الناس الشخصية عرضة الانتهاك والاقتحام، فتمكن الإنترنت الكشف عن أسرار الناس على نحو لم يسبق له مثيل.، وجرائم الإنترنت كثيرة ومتنوعة ويصعب حصرها ولكنها بصفة عامة تشمل الجرائم الجنسية كإنشاء المواقع الجنسية وجرائم الدعارة والدعاية للشواذ، أو تجارة الأطفال جنسياً، وجرائم ترويج المخدرات أو زراعتها وتعلم الإجرام، وأيضاً جرائم الإرهاب كصناعة المتفجرات، وجرائم الفيروسات واقتحام المواقع.

وتتطور هذه الجرائم باستخدام المافيا العالمية للإنترنت كوسيلة لترويج المخدرات وغسل أموالها القذرة، فقد قدر مصدر أمريكي قيمة أموال المافيا المغسولة بحوالي 30 مليار دولار كل عام وتهريب الأسلحة.

3: انتشار المواد الاباحية:-

يعتبر انتشار المواد الإباحية تجارة رابحة يقبل عليها الناس بكثرة، ففي عام 1999م بلغت مجموعة مشتريات مواد الدعارة من الإنترنت نسبة 8% من التجارة الإلكترونية، ونفقات الدخول إلى الصفحات الإباحية إلى 1970 مليون دولار، فيعرض الإنترنت كثيراً من المواقع التي تبث قيم وتقاليد المجتمع الغربي بما فيها من إباحية تتعارض مع قيم المجتمعات العربية وتقاليدها، فهي تحوي المحرمات من الجنس والسياسة والدين وبما تحويه نصاً وصوراً وأفلاماً، مما دعا البعض إلى أن يطلق صرخته لا تتركوا الصغار دون رقابة، وهذه القيم التي تحملها شبكة الإنترنت إلى المجتمع العربي فقد أحدثت تأثيرات خطيرة تضر بالمجتمع وسلامته وتنحرف بشبابه نحو الهاوية، فيتمرد على قيمه وتقاليده ويتشبث بقيم الغرب، مثل عبدة الشيطان استعانوا بشبكة الإنترنت في طقوسهم واتصالاتهم.

وأثبتت الدراسات أن أمريكا هي أولى دول العالم في إنتاج المواد الإباحية، فهي تصدر سنوياً 1500 مجلة من هذا النوع، أو 8000 عدداً سنوياً، وتجارة تأجير الأفلام الإباحية قد زادت في سنة 1985 من 75 مليون إلى 665 مليون سنة 1996م، و8 مليار في عام 2002م.

فيتضح لنا مما سبق أن شبكة الإنترنت تحمل العديد من الآثار السلبية على القيم الأخلاقية خاصة وأنها نافذة مفتوحة لا يمكن التحكم فيها وأداة في أيدي أصحاب النفوس الضعيفة والأغراض الدنية لنشر ما يتناقض مع القيم والأخلاق الحميدة سواء كان ذلك في المجتمعات الغربية أو المجتمعات الشرقية.

الشباب:

أن فئة الشباب هي أكثر الفئات في المجتمع حساسية وتأثراً بالتغيرات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع سواء كانت تغيرات إيجابية أو سلبية، وذلك بحكم الطبيعة الانتقالية لهم بين مرحلتي الطفولة والرشد.

قدم علماء السكان تحديداً لمفهوم الشباب وفقاً لمعيار السن، حيث ركزوا علي فكرة التوزيع السكاني لفئات العمر المختلفة التي يتكون منها سكان مجتمع ما، ولكننا نجد أنهم قد اختلفوا فيما بينهم في تحديد بداية ونهاية تلك المرحلة، فهناك من يؤكد أنهم من هم تحت سن العشرين، وبذلك فهو يحدد نقطة النهاية دونما تحديد لنقطة البداية، وهناك من يرى أن الشباب هم أولئك الذين يقعون في الفترة ما بين 18- 24 عاماً، بينما يذهب أخر إلى القول بأن مرحلة الشباب تتضمن كل من يقع في الشريحة من 18 إلى أقل من 30 عاماً.

يذهب علماء النفس في تحديدهم لمفهوم الشباب إلى أنه "تلك المرحلة التي ترتبط بمدى اكتمال البناء الدافعي للشباب" حيث يرون أنه إذا كان الفرد قد ولد ببنية بيولوجية فإنه يكتمل كشخص إذا هو قد استوعب مجموعة التوجيهات القيمية الكائنة في السياق الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها نظم اجتماعية عديدة تعمل على التواءم بين التوجيهات القيمية التي تستوعب من ناحية، وبين إشباع الاحتياجات والاهتمامات الأساسية للشخصية في مستوياتها الوجدانية والإدراكية من ناحية أخرى، بحيث تشير هذه المواءمة إلى امتلاك الشخص لبناء دافعي متكامل يمكنه من التفاعل السوي في المجال الاجتماعي، وبناءً على ذلك فأنهم يرون أن الشباب هو "حالة نفسية مصاحبة تمر بالإنسان وتتميز بالحيوية والنشاط ومرتبطة بالقدرة على التعلم و مرونة العلاقات الإنسانية وتحمل المسئولية".

يتخذ علماء الاجتماع من الدور عاملاً هاماً في تحديد مرحلة الشباب ذلك بالإضافة إلى التحديد العمري، وعلية فإنهم يذهبون إلى أن مرحلة الشباب هي تلك المرحلة التي تبدأ عندما يحاول المجتمع تأهيل الشخص لكي يشغل مكانة اجتماعية ويؤدي أدوراً اجتماعية وتنتهي هذه المرحلة حينما يستقر الشخص في شغل مكانته ويؤدي الأدوار التي أهل لها.

هذا وإن كان الشباب له أهميته البالغة في جميع الأمم والبلاد فإن أهميته تزيد في الأمم والبلدان والدول النامية، وذلك لعدة اعتبارات من بينها: رغبة هذه الدول في أن تعوض ما فاتها من تقدم في سنوات وعصور تخلفها الماضية بسرعة قد لا يوافق عليها جيل الكبار الذي يقاوم عادة أي تغير في نظم وقيم وعادات المجتمع، هذا بالإضافة إلي أن الشباب في أية أمة نامية هم الذين يمثلون الطبقة المتعلمة الواعية التي أخذت حظها من التعليم والثقافة واقتنعت بقيم الحضارة الحديثة وأصبحت لديها اتجاهات إيجابية نحوها.

والجدير بالذكر أن أهمية الشباب في المجتمع تنبع من كونهم لا يشكلون قطاعاً مستقلاً عن بقية القطاعات وإنما يكونون قطاعاً أفقياً يدخل في تركيب مختلف القطاعات الرأسية، كما أنهم يمثلون ثقلاً رئيسياً من حيث الكم والكيف سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

الفراغ الفكري لدي الشباب

الفراغ الفكري:

الفراغ الفكري هو ما يمكن تعريفه بخلو عقل الإنسان من الفكر والوعي وهذا يعني عقل الإنسان في هذه الحالة يكون سليماً تماماً إلا أنه لم يتم استغلاله والاستفادة منه بالشكل الصحيح والواقع أن الفراغ الفكري مقصوده خلو عقل الإنسان من المعلومات وإنما خلو عقل الإنسان من الفكر والذي هو ناتج عن جمع معلومات من مصادر مختلفة وتحليلها والاستفادة منها والخروج بقناعات وثوابت فكرية محدودة والحديث عن الفكر يقودنا لتعريف الفكر لغة واصطلاحاً ومن ثم هناك ارتباط كبير بين الفراغ الفكري لدى الإنسان ومشاكل الفراغ الأخرى ولكن الفراغ الفكري في نظري يرجع للأسباب الآتية:

- الجهل الناتج عن الأمية الفكرية.
- عدم وجود التوعية الأبوية الكافية منذ الصغر.
- عدم مبالاة الإنسان بالأحداث التي تجري حوله والاستفادة منها.
- عدم وجود مناعة فكرية تقي العقول من الغو والافراط الفكري.

وحق علينا أن نبرز المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ وأهمية استعماله من خلال قول النبي "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" رواه البخاري فهذا الحديث جمع بين الصحة والفراغ في ايجاز معجزة قد احتوى قيما عديدة فقد أوضح أن الصحة نعمة يجب أن يحافظ عليها الإنسان وأن كثير من الناس يهملون صحتهم فيهدرون النعمة لعدم تبصرهم بدينهم وتعاليمه أما عن الفراغ فقد أقرن بالصحة وصاحبها والصحة من أعظم شيء لدى الإنسان ومن أعز ما يملكه ومن يتبين لنا خطورة وأهمية وقت الفراغ فقد وضعه الإسلام في موضع عال واعتبره نعمة يجب صيانتها واستعمارها وأن كثير من لا يستفيد ولا ينفع .

والحديث الثاني "اغتنم قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" .

وهنا في هذا الحديث اقترن الفراغ بنعمة من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وهي المال والصحة والشباب ووجهنا الرسول ا إلى أن نغتنم الفرصة وأن نستفيد من نعمة الفراغ وربط الفراغ والعمل وأوضح أن الفراغ قبل العمل ولا بد لنا أن نفكر فيه ونستعد به قبل عملنا وهذا إعجاز في شرح الفراغ وبيان أهميته. والفراغ ظاهرة اجتماعية برزت بوضوح في عصرنا الحاضر وارتبطت بعدة أمور أهمها :

ويعد الفراغ الفكري من أبرز الانحرافات السلوكية لدى الشباب فهو من أكبر التحديات التي تواجه الأمن الاجتماعي حيث يعد تربية للانحراف حيث أشارت بعض الدراسات التي أجريت في مجال الأحداث الجانحين إلى أن نسبة كبيرة من حوادث جنوح الأحداث تقع خلال وقت الفراغ. ولذا نتاج الخلل الاجتماعي لتشكيل الفكر المنحرف تنطلق من:

1- أصحاب الأفكار المتطرفة لديهم رغبة جامحة في إقصاء الآخرين فهم الوحيدون القادرون حسب رؤيتهم على فهم الحقائق والأمور.

2- أصحاب الأفكار المتطرفة لديهم أحادية في النظر فالحقائق لديهم ليس لها غلا وجه واحد وطريق الحياة ليس له غلا مسار واحد في رؤيتهم.

ويحمل أصحاب الفكر المتطرف توجيهات عقدية وفكرية ما لديهم من قناعات ولا يرغبون في التنازل عنها كما أنهم غير مستعدين للتخلي عنها أو مناقشة الآخرين فيها ومن هم فالتطرف يكون على مستويات ثلاث:

1- المستوى العقلي والمعرفي والمتمثل في انعدام القدرة على التأمل والتفكير.

2- المستوى الوجداني المتمثل بالاندفاعية في السلوك.

3- المستوى السلوكي والمتمثل في ممارسة العنف على الآخرين .

وخطورة السلوك المنحرف هو تحوله إلى سلوك تدميري منها خمس زوايا مهمة هي:

- أيدلوجية فكرية تبرز أنماط السلوك التدميري المخالف لأعراف المجتمع.
- قابلية لإيحاء لتقبل الأفكار وتنفيذها على أرض الواقع.
- تدريس عسكري يساعد على مواجهة الآخرين وتنفد الإرادة الإجرامية.
- الفرصة السانحة لتحويل المشاعر السالبة إلى أنماط سلوكية على أرض الواقع.
- التطرف على المستويات الثلاثة.

حيث أن هناك الكثير من السلبيات التي قد تترتب على وجود فراغ فكري لدى الإنسان منها ما يلي:

1- عدم القدرة على المشاركة في صنع القرارات.

2-عدم القدرة على حل المشاكل التي قد تواجهه.

3- شعور الإنسان بأنه ليس له أهمية.

4- الفشل في الحياة العملية والاجتماعية وغيرها من الجوانب الحياتية.

6- عدم القدرة على التطوير والابتكار.

ومن أنسب الحلول والطرق التي يمكن إتباعها للقضاء على مشكلة الفراغ الفكري هي ما يلي:

- تثقيف الوالدين لأبنائهما وتوعيتهم منذ الصغر.
- أن يحرص الإنسان على القراءة والتثقف بمختلف الجوانب والعلوم.
- متابعة الحوارات والنقاشات الثقافية والفكرية والعلمية والمشاركة فيها
- عدم إشغال الذهن بأمور من شأنها أن تشوش على التفكير
- الالتزام بالمبادئ والمناهج الفكرية لتحقيق الاستقرار الفكري.

ومن المهم جدا أن أشير إلى نقطة هامة جدا في هذا الموضوع .. وهي أن كثرة الاطلاع وحفظ المعلومات بمختلف الجوانب قد لا تعني بالضرورة أن يكون هذا الإنسان صاحب فكر معين .. فهناك الكثير من الناس لديهم الكثير من المعلومات والثقافات إلا أنه لا يوجد لديهم استقرار فكري .. وبالتالي فإن مشكلة الفراغ الفكري تظل موجودة لديهم حتى بوجود ذلك الكم الكبير من المعلومات والثقافات لديهم .. ولكي نحل هذه المشكلة فعلينا أن نحقق الاستقرار الفكري لأفكارنا ومبادئنا وذلك عن طريق الثبات عليها والاقتناع بها والدفاع عنها وعدم التشويش عليها بأفكار ومبادئ أخرى دخيلة ومناقضة لها والاحتفاظ بالثوابت الإسلامية.

وإذا ما اتفقنا في المبحث السابق الفراغ الفكري ليس المقصود به خلو عقل الإنسان من المعلومات وإنما المقصود به خلو عقل الإنسان من الفكر والذي هو ناتج عن جميع المعلومات من مصادر مختلفة وتحليك والاستفادة منها والخروج منها بقناعات وثوابت فكرية.

والمناعة الفكرية هي ما يحتاج الناس إليه ليتحقق التوازن وأنها تهيأ البعض عن التطرف الميل عن القصد والاعتدال ولقد اكثر منها الله تعالى إلى تحقيق هذه الموازنة ولذا يقول الدكتور عبد الكريم بكار "إن التنمية الجيدة مشروطة دائما بسيادة الأمن والاستقرار واحترام النظم ووقوف كل واحد من الناس عند الحسد الذي يجب أن يقف عنده ولن يستطيع أي فكر مهما كان لونه وعمقه ورسوخه أن يصمد لعاديات الزمان وتقلبات الأحوال .

واعتقد أن الفكر المنيع فكر قادر على الاستمرار ومناعته نابعة من طبعته ومقوماته الذاتية ومقومات الفكر الإسلامي ليس سببا يصنعه الناس جرياً وراء أهوائهم أو احتياجاتهم الشخصية فالفكر لا يكون إسلامياً إلا إذا كان تكونه في إطار تعاليم الإسلام ومقاصده.

ويؤكد الدكتور بكار أن الغلو بكل سماته وأشكاله ومظاهره ومنطلقاته هيكل إحدى الآفات والعلل المزمنة والخطيرة التي طالما أصابت الفكر الإنساني والإسلامي والحقيقة أن البعد عن القصد والميل إلى المنازع والاتجاهات المغالية المتطرفة يشكل جزء من التراث الحضاري لكل الأمم.

واعتقد أن أفصل ربط للمناعة الفكرية بأنها ضد الغلو بأن الغلو دائما قصير النفس ولذا يجيب الدكتور بكار عن سؤال لماذا ينشأ الغلو؟ وما الخلفية النفسية والثقافية والبيئية التي تساعد على انتشاره وكسبه للأنصار ونستطيع تلخيص الإجابة في الآتي:

كثير من ينشأ الغلو نتيجة فهم خاطئ للنصوص.

اعتقاد الاكتمال قبل الأوان سبب مدار الأسباب القوية للغلو حيث أننا نجد شباباً يصدرون الفتاوي بغاية السهولة وعدم الرجوع إلى أهل الاختصاص.

اعتقاد كثير من الشباب بأنه يوجد مؤامرة ضخمة وصريحة وعامة دفعاً في اتجاه الغلو ومن السهل تفكير حاكم وهذا يدل على جهله بطبيعة العمل السياسي.

العزلة في طرح الأفكار في الظل بعيدا عن أجواء المناظرة والحوار والجهر بالدعوة.

النظر إلى الأمور بعيداً عن الواقع.

استخدام العنف الشديد ضد الشباب.

أن كثير ممن تمارس الخشونة في تربيتهم تنشأ في نفوسهم أحقاد دفينة وتميل طبيعتهم إلى القسوة.

دور الإعلام بغير وعي فبدلاً من معالجة الأمور تحكم إلا أنه استعمل موضوع الهجوم على الغلو ليجعل من علامات هجوماً على الإسلام وهذا ما زاد في غلو الغالب وأكد لديهم صدق معتقداتهم في اتهام الخصوم.

علاقة الفراغ الفكري بالأمن الفكري:

ومن هذا المنطلق فإذا كان من السلبيات على وجود الفراغ الفكري.

عدم القدرة على المشاركة في صنع القرارات.

عدم القدرة على حل المشاكل التي قد تواجهها.

شعور الإنسان بأرجع ليس له أهمية.

الفشل في الحياة العلمية والاجتماعية وغيرها من الجوانب الحياتية.

ولذا يعتقد من النسب الحلول للقضاء على مشكلة الفراغ الفكري- تثقيف الوالدين لأبنائهم وتوعيتهم منذ الصغر.

أن يحرص الإنسان على القراءة والتثقيف بمختلف الجوانب والعلوم.

متابعة الحوارات والنقاشات الثقافية والفكرية والعلمية والمشاركة منها.

عدم انشغال الذهن بأمور من شأنها تشويش الفكر.

الالتزام بالمبادئ والمناهج الفكرية لتحقيق الاستقرار الفكري.

عني الإسلام بالأمن الفكري عناية بالغة وجعله ضرورة من الضرورات لأمن الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، بل للإنسانية جمعياً ليعيش الجميع في أمن واستقرار وطمأنينة.

ويحتلّ الأمن الفكريّ أهميّة بالغة، باعتبار أنّه يحقّق أمن واستقرار المجتمع من خلال التصدّي للمؤثرات والانحرافات الفكرية. وقضيّة الأمن الفكريّ ليست وليدة اليوم، بل هي قضية موجودة على مرّ الأزمنة والعصور، ولكنّها برزت بشكلٍ أكبر في الآونة الأخيرة نتيجة عدّة عوامل داخلية وخارجية وعرَّف فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- الغزو الفكري بأنه (مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة، وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزّوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه. وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها. والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه، ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً).

فإن الأمن كلٌ لا يتجزأ وقد سبق محاولة الإخلال بالأمن الحسي إخلال بالأمن الفكري للمجتمع ومع ذلك فإن الجهود المبذولة لحمايته لا تزال أقل من الدرجة المقبولة بل وتتضاءل عند البعض إلى درجة الصفر أحياناً مع أننا الآن في أمس الحاجة إلى الأمن الفكري الذي جاء الإسلام ليحفظه على المسلمين فإن الدين قول وعمل واعتقاد.

و(الأمن الفكري) يعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة، وهو بهذا يعني حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق أو الاحتواء من الخارج. وهذا -أيضاً- يعني أن الأمن الفكري هو الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي، فقد اتّسم هذا العصر بالتطوّرات والمستجدّات المتعاقبة في شتى المجالات، والتي مهّدت للتقارب بين المجتمعات والشعوب، وأدّت إلى انفتاح الثقافات على بعضها، متبادلة التأثير والتأثّر فيما بينها، ممّا يسهّل من دخول التيارات الفكرية الوافدة بما تحمله من إيجابيات وسلبيات. كذلك فإنّنا نجد أنّ الغلوّ والتطرّف الديني الذي ينشأ نتيجة سوء الفهم للدين الحنيف، يمثّل انحرافاً فكرياً يضاهي في تأثيره ما تقوم به التيارات الفكرية السلبية الوافدة.

إنّ هذه المؤثرات الفكرية وما تخلّفه من آثار سلبيّة على المجتمع وأفراده، تجعل من قضيّة الأمن الفكريّ ضرورة حتميّة وملحّة، فقد أشارت إحدى الدّراسات إلى أنّ الانحراف الفكريّ يعد من أهمّ الدّوافع والأسباب للجنوح للعنف والإرهاب.

إن (الأمن الفكري) مسألة تهم المجتمع والأفراد مثلما تهم الدولة، وهي قضية المحكوم كما أنها قضية الحاكم. والأمن الفكري هو إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي، الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع، ليس في موضع تهديد من فكر وافد، بإحلال لا قبل له برده، سواء من خلال غزو فكري منظم، أو سياسات مفروضة. وليس المقصود بالأمن الفكري للأمة أن نغلق النوافذ والأبواب والآذان على الثقافة العالمية، ونتهمها بغزو العقول ونخرها. فنحن نحتاج إلى ثقافات الشعوب، نأخذ منها ما يتوافق وقيمنا وعقائدنا وثوابتنا ومبادئنا وأخلاقنا، ونحتاج إلى نشر ثقافتنا ليستفيد منها الآخرون. فالأمن الفكري إذاً مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق جميع المؤسسات المجتمعية المختلفة ابتداء بالفرد ثم بالأسرة ثم المدرسة فالجامعة والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة وبقية المؤسسات المجتمعية الأخرى. وأي تقصير من أي من هذه المؤسسات ستكون عاقبته وخيمة على المجتمع بأكمله.

ومن أهم وسائل الأمن الفكري التركيز على الثقافة الأمنية، كما عرفها الدكتور أحمد حويتي بأنها جزء لا يتجزأ من الأمن الفكري للأمة أو المجتمع. وهي تعني الحصانة الفكرية من خلال التوعية الأمنية لأفراد المجتمع. وتعني أيضاً غرس المفاهيم الأمنية، في عقول الناشئة، والتعريف بالدور الكبير الذي يضطلع به رجال الأمن –وفقهم الله– وتضحياتهم في حماية أمن المواطن والوطن واستقرارهما، والتضحيات التي تقوم بها الأجهزة الأمنية في سبيل الوقاية من الجريمة، ومكافحة السلوك المنحرف.

والأسرة هي الخليّة الأولى في بناء المجتمع، والمحضن الأول للإنسان، ففيها ينشأ ويترعرع ويكتسب المثل والقيم والمبادئ والأخلاق الحميدة. وتكمن أهمية الأسرة في أنها تقوم بدور كبير جدّاً في سبيل تحقيق تربية اجتماعية متكاملة؛ لأن الأسرة لا زالت تحتفظ بدورها الإيجابي في تنشئة الفرد فعليها يتوقف تكوين شخصيته.

والأسرة باعتبارها المؤسسة الرئيسة في عمليات التنشئة الاجتماعية، فإن من أعظم مهامّها في تنشئة أبنائها تحقيق الأمن الفكريّ لهم وحمايتهم من الانحرافات الفكرية التي تولّد الكثير من المشكلات الاجتماعية. ولكي تقوم الأسرة بدورها في التوعية والوقاية من الانحراف، فلابدّ لها أن تقوم بتنشئة الأبناء تنشئة إسلامية صحيحة، بحيث تسير على المنهج الوسطي البعيد عن التطرّف والغلوّ. كما أنه من الواجب على الأسرة أن تؤكّد على تمثّل أبنائها القدوة الحسنة في سلوكياتهم وتصرفاتهم، وفي الانسجام مع قيم وقوانين المجتمع، وذلك من خلال تقديم المثل الأعلى والقدوة الحسنة المناسبة للنشء والشباب، وأن تعمل على شغل أوقات فراغ الأبناء بصورة سليمة وبنّاءة، مع مراقبتهم وتوجيههم في الاختيار السليم للأصدقاء والأقران.

تكنولوجيا الإرهاب:

إذا كان هدف الإرهاب هو تحقيق الرعب فإن تكنولوجيا الإرهاب هي: جملة الأنشطة العقلية الموجهة والمهارات التي يستخدمها الإرهاب للكشف عن خصائص معطيات بيئته المحبطة والتعامل معها بالتوظيف والاستغلال للمعطيات المعنية له في تحقيق هدفه أو التكيف مع المعطيات المعيقة له في تحقيق ذلك الهدف باستخدام المواد والأدوات والتجهيزات وتطوير المهارات ومن هنا نقول أن تكنولوجيا الإرهاب لها جانبين:

الجانب المادي: والمتمثل بالمواد التي يستخدمها الإرهاب أو يصنعها وقد اقتصرت معالجة الجانب المادي من تكنولوجيا الإرهاب بما يشمل الوسائل التي يستخدمها الإرهابي للنقل والاتصال أو الأسلحة المستخدمة سواء كانت أسلحة خفيفة أو متفجرات أو أسلحة كيميائية وبيولوجية.

الجانب الغولي: والمتمثل بالمعارف والخبرات والمهارات والأساليب اللازمة لتعامل الإرهابي مع بيئته المحبطة ولاستخدامه أو تصنعه لجانب المادي من تكنولوجيا الإرهاب.

الإرهاب الالكتروني:

هو العدوان أو التخويف أو التهديد ماديا أو معنوياً باستخدام الوسائل الالكترونية الصادر من الدول أو الجماعات والأفراد على الإنسان دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق يسنى صوته وصور الإفساد في الأرض.

وقد أدى ظهور الحاسبات الآلية لتغير شكل الحياة في العالم وأصبح على وسائل تقنية المعلومات الحديثة يزداد يوماً بعد يوم فا من الوجه الآخر والمتمثل في الاستخدامات السيئة والضارة مثل الإرهاب الالكتروني أصبح يهدد العالم فهو هاجس مخيف للعالم الذي أصبح عرضة لهجمات الإرهابيين عبر الإنترنت الذين يمارسون نشاطهم التخريبي من أي مكان في العالم وهذه المخاطر تتفاقم بمرور كل يوم لأن التقنية الحديثة وحدها غير قادرة على حماية الناس من العمليات الإرهابية الإلكترونية والتي سببت أضراراً جسيمة على الأفراد والمنظمات والدول.

تمر المجموعة الإرهابية بمرحلة البناء والحصانة.والمتمثلة بتجنيد الأعضاء في المجموعة الإرهابية وتعريفهم بمبادئها والبحث عن التمويل لضمان الاستمرارية وتجهيز الأعضاء وتزويدهم بالأدوات كوسائل الاتصال والنقل

والتخفي وتدريب الأعضاء على التواصل والتخفي وتقسيم العمل والمهام ورفع الروح المعنوية لكافة مراحل تطور الإرهاب. ولما قللت تكنولوجيا الاتصالات الحديثة من تأثير المسافة والزمن المعيق لانتقال الأفكار والمعلومات ومنها الهواتف،ثابتة ونقاله، والإذاعة والتلفزيون ويمكن الاستفادة من خدمتها دون حدود الزمان أو المكان فتكنولوجيا الاتصال اللاسلكي كالهواتف المحمولة تمتاز بعدم ارتباط الاستفادة بموقع معين.

وبالنظر إلى أسباب اهتمام الإرهابيين عموماً بالممارسة العالمية النطاق لتكنولوجيا الاتصالات في الحياة اليومية نجد بأن هذه التكنولوجيا تحسن من الاتصالات وتساعد على تدفق الدعم والمساعدات وتسمح للأعضاء وبالتنسيق سريعاً مع أكبر عدد من الأتباع كما توفر منبراً للدعاية كما تنتج بواسطة الانترنت الوصول إلى جمهور ضخم من المانحين المحتملين وتجنيد الذين قد يتوزعون فوق رقعة جغرافيا.

الحاسوب والإرهاب:

بالرغم من الخسائر الناجمة عن جرائم الحاسوب إلا أنها لا تلفت أنظار النشاط الإرهابي المحتمل ما لم تكن الحواسب مرتبطة مع بعضها في شبكة اتصال فهنا تزيد المغريات أمام الإرهابي لممارسة جرائمه ومن هذه السمات:

عدم وضوح الجريمة وصعوبة إثباتها وصعوبة التوصل إلى الجناة.

إمكانية حدوثها في زمن قصير.

صعوبة الكشف عن الكثرة في تحديد وقت ارتكابها.

سهولة امتصاص الغرض لارتكاب هذه الجرائم الوقت الحالي.

يقوم الإرهابيون بإنشاء دور يتضمن مواقع على شبكة الانترنت لنشر أفكارهم والدعوة إلى مبادئهم بل تعليم الطرق والوسائل التي تساعد على القيام بالعمليات الإرهابية وقد نشبت مواقع لتعلم صناعة المتفجرات وكيفية احتراق وتدمير المواقع وطرق احتراق البريد الالكتروني ونشر الفيروسات والدخول على المواقع المحجوبة.

الإرهاب كشخص يبحث عن عمل غير مشروع يحدث بواسطة الضرر العام وبالتالي إثارة الرعب والسيطرة والتأثير على متخذي القرار فمن المحتمل أن يجد ضالته في جرائم الانترنت مغلاوة على حجم الضرر الذي يمكن أن يلحق بالفئة المستهدفة فجرائم الانترنت ذات سمات تغري الإرهابي لاتخاذها وسيلة لتحقيق أهدافه ومن السمات:

أن الجريمة المرتكبة بواسطة الانترنت ليس جريمة على النطاق الوطني لكل دولة وإنما هي جريمة عابرة للدول والقارات كما لا يوجد دليل مادي كالبصمات أو أية آثار للجريمة وإن كان الدليل موجوداً فبمقدور الجاني مع آثار على الشبكة.

صعوبة تحديد هوية مرتكبي جرائم الانترنت واستخدام الانترنت لنشر الفكر الإرهابي والتحريض على التطرف والعنف وحتى أن العديد من الجماعات الإرهابية أصمت لها صفحات خاصة على الانترنت ويمكن أن ترسل التهديد والوعيد للخصوم.

البريد الالكتروني يقوم الإرهابيون باستغلاله في نشر أفكارهم والترويج لها والسعي لتكثير الإتباع والمتعاطفين معهم عبر المراسلات الالكترونية.

ومما يقوم به الإرهابيون أيضاً اختراق البريد الالكتروني للآخرين وهتك أسرارهم والإطلاع على معلوماتهم وبياناتهم والتجسس عليها لمعرفة مراسلاتهم ومخاطباتهم والاستفادة منها في عملياتهم الإرهابية.

فالإعلام بغير قصد أداة مساندة للإرهاب ويتمثل في الجوانب الآتية.

تشجيع أصحاب القضايا العالقة من مقهورين أو محرومين وقليلي الحيلة من اعتماد الإرهاب كوسيلة لجذب الاهتمام والترويج لمطالبهم بعد اطلاعهم على ما تقدمه وسائل الإعلام من تغطية للأعمال الإرهابية وآثارها.

استغلال الإرهابيين لبلبلة الإعلامية الناتجة عن تباين وتناقص الأخبار المتعلقة بأي حدث إرهابي بحيث تزداد صعوبة تحديد هوية الفاعل ومطاردته على القور وهذا يمنح الإرهابي وقت للتخطيط.

التأثير على مصير الضحايا لرهائن سلبا وإيجاباً .

ومن هنا نتوقف على الجانب السلبي للإنترنت على الشباب وهذا نتيجة لسوء الاستخدام ومنها ضياع الأوقات. حيث بحثت دراسة لجمعية السيكولوجي الأمر كان وجد أن من ليس لديهم وظائف يقضون أمام الشبكة ما معدله 38 ساعة أسبوعياً .

استبانة وزعت على مقاهي الانترنت وجد 68% من الذين يقضون أمثر من 3 ساعات يومياً. والتعرف على أصدقاء السوء في هذه المقاهي والانترنت كثرة الجلوس يؤدي إلى إدمان الشباب ويؤدي بهم إلى الاكتئاب ويحب الانطواء والعزلة عن الآخرين ويعيشون قلقا مليئاً مع عام الأوهام والخيال من خلال محادثتهم لكثير ممن لا يعرفون أشخاصهم ولا صورهم الحقيقية والحاجة الماسة لعلاج المدينة إنشاء جمعة لمساعدة "مدمني الانترنت".

التعرف على أساليب الإرهاب والتخريب.

فإن في شبكة الانترنت العالمية مواقع عديدة.

كيفية صناعة القنابل.

عشرات الطرق في كيفية الانتحار.

تنمية المهارات التخريبية ومنها كيفية نشر الفيروسات وتدمير وسائل الاتصال مع المحترفين "الهاكرز".

سلبيات الفراغ الفكري على الشباب:

ترتبط فكرة إرهاب الانترنت بالتطورات التي حدثت في مجال المعلومات وما أثارته من خصائص ومقومات تتعرض لها المجتمعات المعلوماتية الحديثة والدمار الذي قد يلحقه الهجوم الإرهابي بمنظومة المعلومات التي تتحكم في حياة هذه المجتمعات التي تعتمد على الكمبيوتر والانترنت اعتماداً مطلقا والخسائر التي قد تنجم عن مثل ذلك الهجوم. فإرهاب القضاء المعلوماتي أو إرهاب الانترنت يعتمد على القدرة على اختراق شبكات الانترنت لتحقيق أهداف عدوانية ذات طابع سياسي في الأغلب وإن كان يحلق وراءه وآثار سلمية تنال كثير من جوانب الحياة.

ويؤكد السياسي أندرو اثمل في كتابه "إرهاب الفضاء المعلوماتي شكل صراع المستقبل" نشر في مجلة المعهد الملكي للخدمات المتحدة ببريطانيا.

ويقول وقد دفع الخوف من إرهاب الانترنت السياسي أن تلجأ المنظمات الإرهابية إلى هذه الوسيلة التي تضمن لها قصه أغراضها المدمرة دون أن يتعرض أعضاؤها للخطر فالقضاء المعلوماتي لا يطلان الحركات الإرهابية في عالم الغد الذي يسمى بالإرهاب الرقمي الذي يبدو لاـــ من استعماله وياور الشك صعوبة القبض عليهم. وإذا ما تحدثنا عن سمات الخطاب الالكتروني المتطرف لابد أن تضع عدة معايير يحتوي طبيعة هذا الخطاب ألا وهي:

جاذبية الخطاب الالكتروني المتطرف.

طبيعة الفكر المتشدد عبر الانترنت.

خصائص المواقع الفكرية المتشددة.

دور الخطاب الالكتروني المتطرف في استقطاب الشباب وسهولة تجنيدهم.

وإذا تحدثنا عن سمات الخطاب الالكتروني المتطرف لابد أن نضع عدة معايير تحتوي طبيعة هذا الخطاب ألا وهي:

جاذبية الخطاب الالكتروني المتطرف.

طبيعة الفكر المتشدد عبر الانترنت.

خصائص المواقع الفكرية المتشددة.

دور الخطاب الالكتروني المتطرف في استقطاب الشباب وسهولة تجنيدهم.

بداية يتميز الخطاب المتطرف بجاذبية وقدرة على التماس مع انفعالات الشباب وترجمة أحاسيسهم لا نعتاقه من القيود ينطلق أصحاب هذا الخطاب محركين لمشاعر الشباب بلغه عاطفية تطرب لها أذن الشباب وسط المفاهيم المتطرفة التي انتشرت في عصر الانترنت. وتركز هذه الجماعات الإرهابية على تأجيج العواطف وتهييج انفعالات الشباب بالتركيز على:

الخطاب الحماسي.

توظيف الأحداث الدولية والمظالم التي تقع على المسلمين وربطها بشكل متعسف مع بعض القرارات التي تتخذها الدول العربية والإسلامية وإظهارها بصور المتخاذل الخانع المانع للكفار دون اعتبار للمصالح الشرعية المعتبرة

وتقوم جماعات العنف بالتحريض الالكتروني من خلال ثقافة التفكير. مثال لشباب يقول"دفعتني للمشاركة في الانترنت الرغبة في الدخول إلى هذا العالم واستكشافه فخصت مواقع المحادثات وكنت اعتقد في ذلك الوقت 1999 أن الانترنت محصور في الجانب المظلم ثم عرفت مواقع وهذان لتبادل الخبرات والرأي المتعارف ثم يكمل فيها سهولة التقنع بحب أسماء جديدة"الحية والعمامة"الخفاش الأسود" .

ولا تكتفي جماعات الفكر المنشور بخدمات النشر والحوار عبر المواقع والمنتديات بل توظف خصوصية البريد الالكتروني والمجموعات البريدية وعزف الحوارات لتصل إلى المهندس بشكل أقل عليه وذلك لأن المطاردين بحاجة إلى منافذ إعلامية بعيدة عن الرقابة.ويمكن إجمال وظائف الانترنت لهذه الفئات في ثلاثة مجالات.

الأول: إعلامي ويشمل التعبئة المعنوية وتحريض الأنصار وشيء الحملات الإعلامية (الحرب النفسية).

الثاني: الاتصال والتنسيق بين أعضاء المجموعات بالعديد من الطرق منها توظيف فنون التشفير خشية الاكتشاف.

الثالث: توظيف خدمات وبرامج الحاسب والانترنت في مجال تعليم وتدريب عناصر هذه المجموعات على العمليات التخريبية وتبادل الأفكار حول طرق تضليل رجال الأمن وكيفية صناعة الأسلحة والمتفجرات.

خصائص المواقع الفكرية المتطرفة:

ومن اشهر المواقع التي تبث الفكر التفكيري ويديره المقدسي "التوحيد والجهاد" وبشكل عام نجد أن المواقع المشفرة قسم بالآتي.

الشكل الفني في التصميم والحرفية وتقسيم الموضوعات.

توفر الخدمات وتسهيل الوصول إلى المعلومات والتحديث المستمر للمحتوى ومواكبة الأحداث والتعليق عليها.

استقطاب كتاب وفتاوى لعلماء معتبرون لرفع مستوى الثقة في المواقع.

التنسيق العالي من هذه المواقع لنشر البيانات والخطاب والمواد الجديدة التي يقدمها أحد قادة التنظيمات.

صناعة نجوم هذه المنتديات ومؤازرتهم.

توفير مواد سمعية ومرئية.

تشجيع كتاب مذكرات الذين شاركوا في أفغانستان والعراق لإلهام الشباب وتحفيزهم.

تقديم خدمات إخفاء الأثر وبرامج تعتبر الشخصية.

تقديم شرح مفصل لاستخدامات البرامج ووقع الملفات للمواقع المجانية.

تولى إدارة المواقع لأشخاص ذوي مقدرة متميزة وينتمون إلى بلدان مختلفة.

تقديم سلة من الخيارات لزائر بعض المنتديات مثل الأسر والصحة وغيرها.

مظاهر وأساليب التجنيد للشباب:

الدعوة إلى القيام بعمل ما مثل إنكار مظاهر الفساد وتحلل المجتمع لتحرير دوافع الاعتراض والمساعدة على تشكيل الاتجاه المتطرف.

الدعوة الحماسية من خلال تــــ المخالفين وإرسال منشورات وحطب ورموز التفكير.

يتم الانتقال إلى الدعوة إلى أهمية القيام بعمل سام ومثل وهو إحياء الجهاد "الفريضة الغائبة".

الاجتماع بالشخص الراغب في عرض دردشة ومنتديات خاصة معتبرة عقد صداقة معه ودراسة أوضاعه الاجتماعية.

تكذيب قصص وروايات الشباب الذين ظهروا نادمين لانخراطهم في أعمال التفجير والعنف وترويج إشاعات حول تعذيب الشباب والتشويه لصورة الإعلام المعتدل.

تقديم خريطة شاملة للانضمام معهم.

ولكن كانت الموجهات الأمنية للفكر المتشدد قوية وحاسمة يشرف عليها علماء يتصدون لقضايا الإرهاب والانحراف الفكري والتطرف. وتعد المواقع الالكتروني التي تتبنى الطرح الشرعي الوسطى دون أدنى شك من أهم المراجع الفكرية التي يمكن أن تساعد الشباب الذين هم من مستخدمي الانترنت ، وهي.

مواقع تتبع مؤسسات رسمية وتركزت في حملة التضامن الوطني ضد الإرهاب.

مواقع إدارات التربية والتعليم في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية.

مواقع مراجعات فكرية وهي لتوثيق ونشر مراجعات الذين تورطوا في الفكر التفكيري ويوثق شهادتهم بالصورة والصوت وعناوين هذا الموقع.

مواقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد. وقد قامت الوزارة بجهود مكثفة عبر مواقعها الالكترونية 6 لغات، ووضعت العديد من المحاضرات والدراسات الصوفية ونماذج من الموضوعات لهيئة كبار العلماء"حرمة الإفساد في الأرض" لعبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

مقاومة الجرائم الالكترونية: ونخلص بهذا المبحث إلى أن المقاومة للجرائم والاعتداءات الالكترونية على نوعين:

النوع الأول : المقاومة الفنية :

تشفير البيانات المهمة المنقولة عبر الانترنت.

ايجاد نظام أمني متكامل يقوم بحماية البيانات والمعلومات.

توفير برامج الكشف عن الفيروسات والمقاومة لحماية الحاسب.

عدم استخدام شبكات الحاسب الآلي المفتوحة لتداول المعلومات الأمنية مع عمل وسائل التحكم في الدخول إلى المعلومات والمحافظة عليها.

توزيع مهام العمل بين العاملين.

النوع الثاني : المقاومة النظامية :

ومن الاحتياطات اللازمة للوقاية من الإرهاب عن طريق توظيف التكنولوجيا بأسلوب علمي. وبهذا يمكننا القول بأن التطور التكنولوجي داعم لتعقيب الإرهابيين ويساعد على مكافحة الجريمة ويخدم رجال الأمن عن طريق فحص وكشف البصمات ويتبع البيانات واسترجاعها بسرعة فائقة ودقة وتبادل المعلومات التي تساهم في الكشف عن مرتكبي العمل الإرهابي وتعقبهم ويمكن أننا في الوقت الحاضر وجدنا أن أجهزة الأمن تكشف بصورة فاعلة وسريعة معظم الخلايا الإرهابية تفضل جهودهم المتداولة وتوظيف تكنولوجيا المعلومات لتتبع الحركات الإرهابية.

العلاقات بين أوقات الفراغ والانحرافات السلوكية لدى الشباب:

إن وقت الفراغ ظاهرة اجتماعية شأنها الظواهر الاجتماعية الأخرى ، ومن الجوانب السلبية لوقت الفراغ أنه يصبح تربة صالحة لاستنبات الجريمة والانحراف إذ لم يوجه الصالحة حسب إشارات بعض الدراسات التي أجريت في مجال الجانحين إلى أن نسبة كبيرة من حوادث جنوح الأحداث تقع خلال وقت الفراغ .

كما أشارت بعض البحوث إلى أن الأماكن التي ينتمي إليها المحقون هي الحياء التي تنعدم فيها التوعية الاجتماعية والرياضة وعدم وجود الرقابة الأسرية.

وعندما نتحدث عن المنحرفين من الكتاب فلا بد أن نشير إلى جماعة الرفاق وهي جماعة الترويح وتمضه وقت الفراغ ولهذا لا بد من التساؤل الآباء في رفقاء أبنائهم وخاصة إذا تعرض المراهقة إلى العزلة ثم يفضل مجالسة أفراد أكبر منه في السن أو أقل سناً وهي أكثر خطورة.

أن الزيادة في أوقات الفراغ والتي اعتبرت من سمات هذا العصر ثم تلت المسئولة بالدرجة الأولى عن انحرافات الشباب السلوكية وفقدهم للعديد من القيم الإنسانية النبيلة فهي مزيد من الفرص لارتكاب السلوك الجائح.

وهذا بالطبع إذا لم يتوفر للشباب الإعداد والتوجيه والتدريب الذي يسبق عمله اختيار الأنشطة التي يمارسونها أثناء فراغهم.

يعتقد البعض أن النقص في الأندية الرياضية أو الساحات الشعبية هو السبب الرئيسي في انحراف الشباب ومجرد التخلف الاقتصادي والعيشي في الحياء الشعبية هو السبب إذن المشكلة الحقيقية لوقت الفراغ هي في الواقع عدم توافر التوجيه السليم والتربية الموجهة لأوقات الفراغ سواء في الأسرة أو المدرسة.

إذا أن ما يمارسه الفرد أثناء وقت الفراغ يؤثر بدرجة كبيرة على شخصية وهناك أساليب عديدة لاستخدام وقت الفراغ منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي ويختار الإنسان بين هذين البدائل المتعددة مما يتطلب التربية والإعداد لقضاء وقت الفراغ حيث لها أهمية بالغة في نمو الشخصية وتكاملها.

وأخيراً فإن الشباب الذي لا يجد القدوة الحسنة ويفتقد العقيدة والقيم الروحية سوف يشعر بمختلف أنواع الصراع والقلق الذي يؤدي إلى كثير من انحرافات الشباب، وعلى الأخص في المجتمعات المتقدمة صناعياً التي تهدمت فيها السر وصناع الشباب وافتقد التوجيه.

إن الحل لهذه المشكلة متوافرة في التربية الإسلامية الصحيحة والواقع الرجوع إلى أصول الدين الإسلامي الحنيف وسنته المربي الأول (صلى الله عليه وسلم). فنظرة الإسلام إلى الشباب واستغلال طاقاتهم وتوجيهها واستثمارها حيث جاء في الحديث "قال رسول الله ا:لا تزول قدما عن حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه" حديث حسن صحيح رواه الترمزي".

فالإسلام لم يكتب طاقات الشباب وإنما وضح مجالات الترويح من أمثلة الفروسية والرمي والجري والقراءة والشعر والقصص الهادفة والسياحة وغيرها الكثير ولا ينهى الإسلام عن كل جديد في مجال الرياضة، وأخيراً فلقد ربى الإسلام الشباب على القيم السامية والغايات النبيلة مثل العدل والوحدة والمساواة وأنهم أبناء امة واحدة لا فرق بينهم إلا بالتقوى وأمرهم أن يتمثلوا ذلك في لحظة من لحظات الجد والعمل أو الفراغ واللعب وألا يخرجوا عند ممارسة الترويح عن هذه القيم أو متعدوا حدود الله. ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم التهور الحركي، وسرعة الانجراف في عمليات بائسة يائسة، لا يجنى الإسلام والمسلمون منها إلا الويلات والانتكاسات، ولا يحصل بها المقصود من عز الإسلام والمسلمين، بل تستأصل بسببه الدعوة، ويذهب الدعاة خلف الأسوار، لا ينتفع بهم ولا ترتفع بهم راية الإسلام أو يستهان بدمائهم فلا يبقى لهم عين ولا أثر.

وعن سليمان بن علي الربعى قال: لما كانت الفتنة فتنة ابن الأشعث إذا قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نظرائهم فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل، وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج. فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج. قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث فقتلوا جميعاً.

ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الأفراد في إحدى جماعات الدعوة أن إنكار المنكر واجب باليد ولو ترتب على الإنكار منكر أكبر. وهذا القول لا شك منكر يجب إنكاره ولا يقوله من له أدنى حظ من العلوم الشرعية، لأن الشريعة أتت لتحصيل المصالح وتكثيرها وتقليل المفاسد وإعدامها والواجب في كل حال من الإنكار هو إنكار القلب كما سمع ابن مسعود رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. وقال يوشك من عاش منكم يرى منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره، والأدلة على إبطال هذا القول كثير شهيرة فمن ذلك قصة الإعرابي الذي بال في المسجد فأنكر عليه الصحابة ونهاهم النبي ا لأنه شرع في المفسدة ولوث جزءاً من المسجد فلو أنكر عليه لما استطاع أن يقطع بوله ولأدى ذلك إلى تلوث أماكن أخرى في المسجد، وكذا لما قيل للنبي ا أقتل ابن أبى المنافق فقال: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه". فتحمل النبي ا غدارات ابن أبى وإن كانت مفاسد، خشية هذه المفسدة العظمى، وهي أن يقول الناس: إن محمداً ا يقتل أصحابه.

ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قيادات إحدى الجماعات الإسلامية وهي كالقانون عندهم، لا نتكلم في أمراض الأمة: ولا شك في أن هذا من أمراض هذه الجماعة، وعلامات بعدها عن هدى الرسل فإن من هدى الرسل معالجة أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وطاعة العزيز الحميد.

فالرسل الكرام يعالجون أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وإذا تركت الأمراض تنخر في عظام الأمة فقد تقضى عليها، فلا ينفعها نصح الناصحين ووعظ الواعظين، وتحق الكلمة عليهم أنهم من أصحاب الجحيم.

ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قادة إحدى جماعات الدعوة التي تستهين بطلب العلم: إن الصحابة لم يكن فيهم من العلماء إلا أربعة. وهذا من الجهل البليغ والغفلة الشنيعة ولعلهم يستدلون بحديث البخاري: (خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب.

قال الحافظ: ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوا وأزيد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في غزوة مؤتة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلاً.

والقلب في سيره إلى الله عز وجل مثله الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فإذا سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران وإذا قطع الرأس مات الطائر وإذا كسر الجناحان أو أحدهما صار عرضة لكل صائد وكاسر.

ومن المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم عدم الاهتمام بالهدى الظاهر واعتباره من سفاسف الأمور التي لا ينبغي الأشغال بها فيعطلون بذلك نصوصاً كثيرة: كالأمر بإعفاء اللحى وحف الشوارب، وكذا النهي عن التشبه بالكفار، وإتباع سنتهم، وكذا إهمال النساء أوامر الحجاب الشرعي، وما دور أن صلاح الظاهر هو عنوان صلاح الباطن وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله علية: من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه.

والواجب على المسلم أن يدخل في جميع شرائع الإسلام، كما قال تعالى: (يا أيها الذين أمنوا أدخلوا في السلم كافة) فالواجب على المسلم أن ينقاد ظاهرة وباطنه لشرع الله، وأن يعظم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب. وإصلاح الظاهر لا يشغل بحال من الأحوال عن إصلاح الباطن، بل يعين عليه، ويدفع إليه، فمهما كان العبد ملتزما في الظاهر بشرع الله فإنه يستحى من المخالفات الظاهرة، لأنه ينتسب في الظاهر للشرع المتين، وقد حكي أحد الدعاة وفقه الله أن رجلاً أخبره أنه كان يريد أن يقترف معصية معينة وكان المانع له من هذه المعية وجود اللحية في وجهه، فسول له الشيطان حلق اللحية، فلما حلقها فارق المعصية ولم يجد ما يحجزه عنها فنسأل الله السلامة والعافية.

ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربي عليها بعض الشباب المسلم عدم التوازن في تحصيل العلوم الشرعية فقد يصل طالب العلم إلى أدق مسائل علم التجويد والقراءات

وهو جاهل بالتوحيد أو فقه العبادات، كما يتعمق بعض الطلاب في علم الحديث حتى يظن أنه في رتبة شعبة وسفيان، وهو بعد لم يحصل القدر الواجب من العلوم الشرعية، فهو جاهل بالتوحيد شيء من العجب أو الكبر، وتظهر هذه الآفات في كتب المتعالمين الذين يوهمون الأئمة ويزاحمون كبار المحققين بأقوالهم واجتهاداتهم فيقول الواحد منهم وهم يحيى، وفي الغالب هو الواهم فليس بالأمر الهين توهيم هؤلاء العلماء وتخطئتهم، لأنهم جبال في الحظ والإتقان، ولعل المتعالم اختلط عليه راو باسم راو آخر في نفس الطبقة، أو صحيح حديثاً بظاهر السند والحديث معلول عند العلماء، وعلى كل حال الواجب على طالب العلم أن يكون متوازناً في تحصيل العلوم الشرعية، وأن يبدأ بالأهم فالمهم.

المراجع

القرآن الكريم

- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.

- الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، الموقعة في القاهرة من قبل وزراء الداخلية والعدل العرب عام 1998م.

- الإستراتيجية الأمنية العربية، المعتمدة من قبل مجلس وزراء الداخلية العرب في بغداد في ديسمبر 1983م.

- الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، المعتمدة من قبل مجلس وزراء الداخلية العرب في تونس في يناير 1997م.

- أنيس، إبراهيم، وآخرون (1992م). المعجم الوسيط، ط2. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير. ط 1407ه/ 1987م.

- البكر، رشيد بن النوري (1423ه). تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي. الرياض: مكتبة الرشد.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. سنن البيهقي الكبرى. تحقيق محمد عبد القادر عطا (1414ه). مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

- التركي، عبد الله بن عبد المحسن (1423ه). الأمن الفكري وعناية المملكة العربية ة به. مكة المكرمة: مطابع رابطة العالم الإسلامي.

- الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف.

- الجحني، على بن فايز (2000م). الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة. الرياض: مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

- أحمد أبو زيد، هل تفلت الإنترنت من الهيمنة الأمريكية، مجلة الفكر العربي، العدد 565، ديسمبر 2005م.

- أحمد فضل شبلول، عالم الإنترنت وعلاقته بطفل الألفية الثالثة، المهرجان الثاني طفل الصعيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المنيا، أغسطس 2001م.

- أميرة صابر، العولمة والإنترنت: العولمة وحوار الحضارات صياغة عالم جديد، المؤتمر الدولي الأول للحضارات المعاصرة، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2002م.

- جاد الله أبو المكارم جاد الله: وسائط التربية ودورها في إعداد الشباب للتنمية، الإسكندرية، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، 2002.

- جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م، ص 39.

- حسن محمد حسان وآخرون: التربية وقضايا المجتمع المعاصرة، المنصورة، دار الأصدقاء للطباعة والنشر، 2002.

- دومنيك فولتون، مجتمع الإنترنت والوعود الزائفة، الدراسات الإعلامية، المركز العربي الإقليمي، القاهرة، ع96، 1999م.

- زكريا حسن أبو دامس، أثر التطور التكنولوجي على الإرهاب، دار الكتاب العالمي، الأردن، 2005م.

- زكريا طاحون، بيئات ترهقها العولمة (الاقتصادية، الثقافية، السياسية، الاجتماعية)، جمعية المكتب العربي للبحوث البيئية، القاهرة، 2003م.

- سامية على حسنين، تأثير الاتصال الثقافي على القرية الالكويتية- دراسة سوسيولوجية في قرية (أنشاص)، محافظة الشرقية، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1993م.

- سعد خلف عبد الوهاب البنداري، العولمة في ميزان الإسلام، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

- سلوى العامري وآخرون: أجيال مستقبل مصر- أوضاعهم المتغيرة وتصوراتهم المستقبلية، مرجع سابق.

- سلوى عبد الرحمن علي سليمان، دور القيم الأخلاقية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، مطبعة الصفا والمروة، أسيوط، ع12، 2005م، ص78.

- سمير عبد الوهاب، طفل واحد وثقافات متعددة وأثر وسائل الإعلام والعمالة الأجنبية على ثقافة الطفل الخليجي، مجلة التربية، كلية التربية، القاهرة، مج3، ع1، يونيو 2000م، ص 40.

- سيد عبد العاطي السيد وآخرون، أسس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م.

- شكري سيد أحمد، انعكاسات التكنولوجية على التربية الخلقية، مجلة التربية الأخلاقية، المؤتمر العلمي الرابع للتعليم والتربية الأخلاقية الألفية الجديدة، 2004م.

- عبد السلام نوير: الشباب والنظرة إلى المستقبل، في عبد العزيز شادي (محرر): مستقبل المجتمع والتنمية في مصر- رؤية الشباب، أعمال المؤتمر السنوي للباحثين الشباب، القاهرة، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، 2002.

عبد الملك درمان، الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.

– علاء عبد الستار مغاوري، مقاهي الإنترنت في مصر، عالم المعلومات والمكتبات، جامعة المنصورة، مج 4،ع2، يناير 2003.

– علي ليلة: الثقافة العربية والشباب ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ، 2002م.

– عمر محمد التومي: الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، لبنان، دار الثقافة، 1973.

– فادية عمر الجولاني، المجتمع: الأنساق التقليدية المتغيرة، المكتبة الالكويتية، الإسكندرية، 2004م.

– فاروق سيد حسين، خدمة الإنترنت، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997م.

– فاطمة القلينى، دور الإعلان التليفزيوني في تدعيم قيم العولمة الثقافية لدى الشباب: الشباب ومستقبل مصر، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، أبريل 2000م.

– القدمي مشعل بن عبد الله، المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت وأثرها على الفرد والمجتمع.

اللجنة المصرية للتربية والعلوم الثقافية "يونسكو- إليكسو- إيسيسكو": البحوث الاجتماعية وترشيد السياسات للنهوض بأوضاع الشباب في ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية، القاهرة ، يولية 2000.

- محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف، الآثار الاجتماعية للإنترنت على الشباب: دراسة ميدانية على عينة من مقاهي الإنترنت، دار المصطفى للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.

- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية وتقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي: العرب والعولمة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1998م.

الفهرس

المقدمة 2

الفصل الأول الأمن الفكري: آليات ومفاهيم 5

مفهوم الأمن الفكري 6

أهمية الأمن الفكري 10

آثار تحقيق الأمن الفكري 15

مراحل تحقيق الأمن الفكري 20

المؤسسات المعنية بتعزيز الأمن الفكري 25

الأمن الفكري في الاسلام 36

الفصل الثاني قيم وأخلاقيات تدعم الأمن الفكري 49

الاعتدال 50

الوسطية 51

الاستقامة 59

الفصل الثالث الانحراف الفكري 63

تعريف الانحراف الفكري 64

أسباب الانحراف الفكري 66

مظاهر الانحراف الفكري 72

الفصل الرابع الخطاب العربي الواقع والتحديات 85

الخطاب السياسى: 87

الخطاب التربوى: 95

الخطاب الديني 119

الفصل الخامس ثقافة الشباب العربي في البيئة الرقمية 143
عولمة الثقافة 144
التغير لثقافي: 144
الإنترنت والثقافة 147
مجتمع المعلومات 151
المجتمع الافتراضي 153
الفراغ الفكري لدي الشباب 159
علاقة الفراغ الفكري بالأمن الفكري: 166
تكنولوجيا الإرهاب: 171
سلبيات الفراغ الفكري على الشباب: 177
المراجع 193
الفهرس 199